السهم السديد
في ضلالة
تقسيم التوحيد

تأليف السيد الشريف
الشيخ الدكتور جميل حليم الأشعري
الشافعي الهاشمي القرشي الحسيني

fb.co

شركة دار المشاريع

السَّهْمُ السَّدِيد

فِي ضَلَالَةِ تَقْسِيمِ التَّوْحِيد

شركة دار المشاريع

الطبعة الرابعة
١٤٤٥ هـ ـ ٢٠٢٤ ر

شركة دار المشاريع

بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

ISBN 978-9953-20-772-8

9789953207728

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

التوطئة
الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيّدنا محمَّد، الحبيب المحبوب، العظيم الجاه، العالي القَدر طه الأمين، وإمام المرسلينَ وقائدِ الغُرّ المحَجَّلينَ، وعلى ذُرّيَّته وأهَل بَيته المَيامين المكرَّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّاتِ التَّقيَّات النَّقيَّات الطاهراتِ الصَّفيَّات، وصحابَته الطيّبين الطَّاهرين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَوم الدّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلامية سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمّ لخصوص الغَرض وعموم النَّفْع؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِه، خلقَ العالمَ بأسرِه العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰوات والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائقِ مقهورونَ بقدرتِه، لا تتحرَّكُ ذرةٌ إلا بإذنه، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِه ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِه بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ

نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكلِ نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهَامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِه، ومن اعتقدَ أنَّ اللَّهَ جالسٌ علىَ العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولَا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلقَ الخلقَ بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبيرهم مُشير ولا ظَهير.

لا يلزمه (لمَ)، ولا يُجاورُه (أين)، ولا يُلاصقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُرَه (متَى)، ولا يُحيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيٌّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لَا يُعرَفُ بالحواسّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحّدُه ولا نُبَعّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسامِ، فالمجسّم كافر بالإجماع وإن قال: «اللَّه جسمٌ لا كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فاللَّه ليس شبحًا، وليس

شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمَن زعَم أنّ اللَّه في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقد أشْرَكَ، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان مِن شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعِلمِه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم اللَّه موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، واللَّه منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فاللَّه لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهرِ ما تشابَه من الكتاب والسنَّة فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر،﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ومن زعم أن إلٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فاللَّه تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف اللَّه بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفَر.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ ما شاء اللَّه كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا

وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعيننا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرَّآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الحمدُ والفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحقّ الّذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكلُّ الأمّة الإسلامية، والحمدُ لله ربّ العالمين.

نُبْذَة تعريفيَّة
بالشّيخ الدُّكتور جَميل حَليم

بقلم النّاشِر

هو السيّد الشريف رئيس جمعية المشايخ الصوفية الشيخ الدكتور عماد الدين أبو الفضل جميل بن محمد علي حليم، الحسينيُّ الأشعري الشافعي الرفاعي القادريّ.

تلقَّى العلوم والطرق عند علَّامة العصر وقدوة المحققين الحافظ الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الشيبي العبدري ولزمه وصحبه واستفاد منه زمانًا طويلًا وكان يعيد دروسه وإملاءاته في كثير من مجالسه العامة والخاصة بطلب منه رضي الله عنه، وقرأ وسمع وحضر في علوم شتّى على كثيرٍ من العلماء والفقهاء والمحدّثين من مشاهير البلاد كمكة والمدينة وجدة ولبنان وسوريا والعراق ومصر وأندنوسيا وتركيا والمغرب واليمن والحبشة وغيرها، وأجازه كثيرٌ من العلماءِ والمحدّثين والمشايخ في مختلف البلاد إجازةً عامةً مطلقةً وخاصَّة بكل ما تجوز لهم روايته وفي الطرق والإرشاد والتسليك وإقامة الختم والحضرة وتلقِين الأوراد.

وقد حاز الشيخ جميل على شهادتي دكتوراه، الأولى من الجامعة العالمية في لبنان تحت عنوان «السُّقوط الكبير المُدَوّي للمُجَسِّم ابن تَيمِيةَ الحرَّاني» بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، والأخرى من جامعة مولاي إسماعيل بالمغرب تحت عنوان «التأويل في علم الكلام وضوابطه عند أهل السنة والجماعة» وذلك بتقدير مشَرِّف جدًّا.

وقد أولَى الشيخ جميل اهتمامه العلم والمطالعة وتأليفِ الكتب وتحقيق مصنَّفات العلماء في مكتبته «المكتبة الأشعرية العبدرية» في بيروت وقد حَوَت ءالاف الكتب المطبوعة والمخطوطة النادرة في علوم وفنون شتى بالإضافة إلى نشاطاته الواسعة وممارسته الخطابة في المساجد وإلقاء المحاضرات والمشاركة في

المؤتمرات في لبنان والخارج والمحاضرات في بعض الجامعات ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم، واستقباله المشايخ وطلبة العلم وعموم الناس. ولم ينكفئ عن خدمة الناس ومخالطتهم لنشر الدين والدعوة والعلم. وقد بلغت مؤلفاته ومصنَّفاته وتحقيقاته لبعض الكتب فوق المائتي كتابٍ إلى الآن.

وقد قرأ وسمع على العلماء والمشايخ وحصَّل تلقّيًا أكثر من ثلاثمائة كتاب في كل الفنون والعلوم ولله الفضل والحمد والمِنّة ولا زال إلى اليوم بعونٍ من الله وتوفيقٍ وتسديدٍ قائمًا على الخطابة في المساجد والتدريس وإلقاء محاضرات في المساجد والجامعات والمعاهد وفي مناسبات الناس العامة كالجنائز والتعازي والأعراس جوَّالًا على المحافظات والبلاد بذلك، كما وأنه شارك وحضر في كثيرٍ من المؤتمرات والمهرجانات والاحتفالات في كثيرٍ من الدول والبلاد بطلب ودعوةٍ من أهلها، وله العديد من المقابلات واللقاءات في عدد من وسائل الإعلام كالتلفزيون والإذاعة والمجلَّات والصحف، وهو دكتور أستاذ محاضر في الجامعة العالمية في لبنان، كما وأنه يعقد مجالس الإقراء والإسماع في الأحاديث المسلسلة وكتب الحديث الشريف كالكتب السبعة وغيرها من أمَّهات الكتب من العقائد والأحكام والفقه والتَّصوف وهو أوَّل من أقْرَأَ صحيحي البخاري ومسلم في لبنان من تلاميذ الحافظ الهرري، وقد أقْرَأَ إلى الآن العشرات من الكتب والمؤلَّفات الّتي حضر فيها الجمّ الغفير من المشايخ والدُّعاة والأساتذة والدَّكاترة ومعلِّمي ومعلماتِ المعاهد والمدارس وخطباء المساجد وطلَّاب الكليَّات والمعاهد الشرعيَّة، وبعض هذه المجالس تبث مباشرة على مواقع التواصل وصفحات الفايسبوك وبعض هذه المجالس والمحاضرات شاهدَها قريبٌ مِن ثلاثةِ ملايين مشاهِد.

كما وقد راسَله وهاتفه وكاتبه وشافهه عدد كبير من المشايخ والدكاترة والدّعاة والأساتذة والفقهاء والمحدثين لطلب وأخذ الإجازة منه، وإجازاته من كل بقاع الدنيا قاربت الألف إجازة بعضها مذكور ومفصَّلٌ في ثبته الموسوم بـ«جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي»، وقد طبع مرات ومعظم إجازاته

وأكثرها التي جاءت بالمئات في ثبته الكبير المسمَّى بـ«المجد والمعالي من أسانيد الشيخ جميل حليم الغوالي».

هذا وقد خصَّهُ بعض العلماء وأحفاد رسول الله ﷺ من الأُسَر الشريفة المشهورة وأصحاب الطرق من بلادٍ عدة بآثارٍ من آثار رسول الله محمَّد ﷺ، فحفظها في «الخزينة الحليمية». وفي كل عام يتبرك عشرات الآلاف من المسلمين في مختلف البلاد ببعض هذه الآثار الزكيّة المباركة العطرة، وقد حصل بذلك خيرٌ عظيم جسيمٌ كبير من دخول بعض النَّاس في الإسلام وظهرت حالات شفائيَّة سريعة وظاهرة جدًا حتى جُمع بعضُها في كتابٍ طبع مرات وهو «أسرار الآثار النبويَّة أدِلّة شرعِيّة وحالات شِفائيّة» ولله الحمد والفضل والثناء والمنة والشكر الجزيل على ما أسدَى من الفضل العميم وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى كل النبيّين والمرسَلين وءالِ كلٍّ وصَحب كلٍّ وسائر عباد الله الصالحين[1].

بيروت، الخميس ٢٩ المحرَّم ١٤٤٢هـ

الموافِق ١٧ أيلول ٢٠٢٠ر

(١) للتواصل مع المؤلف راجع ما يلي: ٩٦١٣٠٠٦٠٧٨+ / ٩٦١٣٦٧٣٩٤٦+
info@sheikhjamilhalim.com :
sheikhjamilhalim@gmail.com

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على إمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، سيدنا ومولانا محمّد بن عبد الله الذي بعثه الله هدًى ورحمة للعالمين، وعلى ءاله وصحبه الطيّبين الطّاهرين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

وبعد، فإنّ العقيدة الإسلاميّة توافق العقل السّليم الذي هو شاهدٌ للشّرع والذي لا يأتي إلا بمجوّزات العقل. وكلمة الشهادة (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله**) هي الكلمة التي يدخل بها في دين الإسلام من كان على غير الإسلام ومعناها إجمالًا أنّه لا معبود بحقّ إلا الله الواحد الأحد الأول القديم الحيّ القيّوم الدّائم الخالق الرّازق العالم القدير الفعّال لما يُريد الذي لم يتّخذ صاحبةً ولا ولدًا، الذي يتصرّف في ملكه كما يريد وأنّه ليس كمثله شيء وأنّه أرسل سيّدنا محمّدًا الهاشمي القرشي وأنزل عليه القرءان كتابًا أُحكمت ءاياته فأدّى الأمانة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده وصبر حتى صارت كلمة الله هي العليا.

ثمّ لما تُوُفِّيَ النبيّ ﷺ ارتدّ أناسٌ في الأطراف وامتنع أناسٌ عن أداء الزكاة حتّى قام سيدنا أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه بقمع هذه الفتن.

ثمّ وجد الفتّانون في عهد الفتن مرتعًا خصبًا لبذر الشرّ والفساد فبدؤوا يسعون لتمزيق المسلمين وتفريق كلمتهم بشتّى الوسائل فظهر أهل البدعة كالخوارج والمعتزلة وغير هؤلاء من الفرق الضّالّة فعمّت البليّة وشملت المصيبة إلى أن بلغ عدد أصول الفرق وفروعها عددًا كبيرًا فتحقّق كلام النبيّ في افتراق الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة وعمل علماء المسلمين على دفع الشُّبه وإبطال التّمويه والفساد فألّفوا كتبًا ردّوا فيها على الفرق الضّالّة وبيّنوا للنّاس الصّواب ومن هؤلاء العلماء شيخ أهل السّنة والجماعة الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل الأشعري، والإمام المحقّق

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين فخر الدّين الرّازي المعروف بابن الخطيب، والإمام المتكلّم النظّار أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، والإمام الشَّهرِستاني وغيرهم. وبقي الحال على هذا المنوال فعمل الكثير من العلماء الذين جاؤوا بعدهم على حماية العقيدة وبيان كذب المفترين، ومن هؤلاء الإمام المحدّث الشيخ عبد الله الهرريّ رحمه الله تعالى الذي حثّ طلّابه على متابعة السّير على نهجه القويم وإكمال هذه المسيرة المشرّفة. لذلك أردنا أن نكمل هذا النّهج ونبيّن للمسلمين الحقائق الدّينيّة كما هي وخصوصًا القضايا التي تتعلّق بالعقيدة الإسلاميّة إذ هي الدّعائم التي يبنى عليها الدّين. فكان هذا الكتاب المسمّى «**السهم السديد في ضلالة تقسيم التوحيد**».

الباعث على نشر هذا الكتاب

الحمد لله الذي قيض لدينه من يذود عن حياضه بالحجة والبرهان ويدافع عن حماه بالدليل والبيان، وهيأ من العلماء من يجاهد بقلمه ولسانه كما يجاهد بسنانه، فلا تكاد تظهر بدعة حتى تجد من ينكرها من أهل الإيمان، ولا يظهر ملحدٌ ومنافقٌ حتى يلاقي من يزهق باطله من أهل الصيانة والأفهام، والصلاة والسلام على إمام أهل الحق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فقد وصلنا إلى زمن تطلع فيه الجهل برأسه وتطاول بعنقه وتكثر بخيله وَرَجِلِهِ وأطبق بظلماته حتى غرقت في أدرانه قلوب ميتة فاستحسنت القبيح ورغبت في الفاسد وأقبلت على المنكر وراج عندها الكاسد من بضاعة الباطل فاشتغلت بنشره ونصرته وتزيينه، وأيدت باطلها بالشبه الملبسات والفرى المخَتلقات حتى انطلى تزيينها على بعض ضعفاء العقول ومن العوام فأخرجهم من الإسلام.

وكان من هؤلاء الجهلة جماعة من المجسمة المشوشين أخرجوا ربقة الإسلام من أعناقهم وسولت لهم أنفسهم ترويج كفرهم بالطباعة والنشر مخالفين للعقيدة ومتحدين جماعة المسلمين مستخفين بعلماء الأمة غير عابئين بحديث أو إجماع وهم مع هذا كله يحاولون أن يتزيوا بزي الفقهاء المحققين والعلماء الباحثين وهم ليسوا إلا كما وصفهم أحد القضاة بأن مثلهم كمثل حاطب ليل يأخذ الحيّة يحسبها حطبة فيردي نفسه ومن يمشي معه.

ونحن، وعملًا بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا يسألونه عن الحقّ لصحة الاعتقاد والمعرفة وعن الباطل والشر للتمكن من المجانبة حتى قال حذيفة بن اليمان كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر

وإنما كان يفعله لتصح له مجانبته لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه كما قال الشاعر:

عرفــت الشر لا للشر لكــن لتوقيه ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

وعملًا بالنصحية الواجبة للمسلمين والتي تدخل تحت باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتحذير من أهل الضلال والبدع عملنا هذا الكتاب لتبيان الحقّ وكشف الزيغ، وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه سيظهر في زمن الإسلام من الفرق المختلفة ما ظهر في الأديان قبله فقال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة**». فقيل يا رسول الله من الناجية؟ فقال: «**ما أنا عليه وأصحابي**». وفي خبر ءاخر أنه قال الجماعة[1].

وروى عبد الله عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[2] إن الذين ابيضت وجوههم هم الجماعة والذين اسودت وجوههم أهل الأهواء. فَبَيَّنَ رسولُ الله ﷺ أن هذه الأمة ينسب إلى جملتها كثير من أهل الأهواء. يفارقونهم في حقيقة الإيمان وإن كانوا يلتبسون بهم في ظاهر الحال فلا بد للمؤمن من أن يعرف حالهم حتى يتميز عنهم ويصون عقيدته عما هم عليه من البدع.

واعلموا أسعدكم الله أن الله تبارك وتعالى أمر عباده بمعرفته في ذاته وصفاته وعدله وحكمته وكماله في صفته ونفوذ مشيئته وكمال مملكته وعموم قدرته ولا

---

(١) ورد هذا الحديث بعدة ألفاظ أما لفظ: ما أنا عليه وأصحابي فقد أخرجه الترمذي. وأما لفظ الجماعة فقد أخرجه أبو داود.

(٢) سورة ءال عمران الاية ١٠٦.

تتكامل المعرفة بذلك كله إلا بنفي النقائص عنه وبإثبات أوصاف الكمال له من غير أن يشوبه شئ من بدع المبتدعين وإلحاد الملحدين.

وإن من أخطر القضايا هي تلك القضايا التي تمس العقيدة إذ هي الدعائم التي يبنى عليها الدين وإن من أهم موضوعات العقيدة ما يتعلق بمعرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده أي إفراده بالعبادة فلهذا أردنا أن نسلط الضوء على موضوع ظهر وشاع على يد رأس من رؤوس المبتدعة وهو ابن تيمية الذي ذهب زورًا وبهتانًا إلى تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع فقال:

الأول توحيد الربوبية وادعى أنه موجود في رأيه عند جميع المشركين فضلًا عن المؤمنين وقال هو يتضمن توحيد الخالقية.

والثاني توحيد الألوهية وهو التوحيد في العبادة.

والثالث هو توحيد الأسماء والصفات.

وهذه البدعة التي ابتدعها ابن تيمية ومن تابعه وسموها تثليث التوحيدلم ترد في الكتاب ولا السنة ولا قال فيها الصحابة والتابعون والأئمة وكل ذلك تخيل باطلٌ. فمن أين أتوا بهذه القاعدة التي خالفوا فيها إجماع الأمة لذلك أردنا طرح هذا التقسيم على بساط المناقشة العلمية المبنية على أصول الكتاب والسنة لنبين أن هذا الأمر لم يصرح به الشرع ولا يستند إلى أدلة وأنه لا فرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فمن أراد معرفة الحقيقة فليرجع إلى عقيدة الإمام أحمد المدونة في مصنفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي وفي غيره وليس فيها هذا التقسيم المبتدع.

وفقنا الله لبيان الحقّ ونشر الصواب لما يتعلق بعقيدة أهل الحقّ أهل السنة والجماعة ونفعنا بهذا العمل الذي نرجو به حسن الختام ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

ضابط يعرف به مذهب أهل الحقّ في النصوص القرءانية أو الحديثية الموهمة ظاهرها للجسمية والحيز والمكان في حق اللّٰه

اعلم أن جميع ما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره يوهم الجسمية كاليد والعين يجب الإيمان به مقرونًا بالتنزيه فإن كلًّا منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به وقد يؤول كل ذلك لأجل صرف العامة عن الجسمية على وجه يحتمل أن يكون المعنى المرادَ لله تعالى ولرسوله ﷺ بتلك النصوص لا على الجزم والقطع بأنه هو المراد، وهذا يسمى تأويلًا تفصيليًّا كأن يقال استوى أي قهر، قال البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» «باب ما جاء في إثبات العين صفةً لا من حيث الحدقة»، وقال: «باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة» اهـ. وقال:

«باب ما ذكر في الصورة. الصورة هي التركيب والمصوَّر هو المركَّب قال الله عزّ وجلّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾[1]. ولا يجوز أن يكون البارئ تعالى مصوَّرًا ولا أن يكون له صورة لأن الصورة مختلفة والهيئات متضادة ولا يجوز اتصافه تعالى بجميعها لتضادها ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصّصٍ لجواز جميعها على من جاز عليه بعضها فإذا اختص ببعضها اقتضى مخصِّصًا خصصه به وذلك يوجب أن يكون مخلوقًا وهو محال فاستحال أن يكون مصوَّرًا وهو الخالق البارئ المصوّر» اهـ.

وقد احتاط العلماء في الاحتجاج بالأخبار الواردة في الصفات حتى إن بعضهم اشترط للاحتجاج بالخبر في الصفات أن يكون الحديث قطعي الثبوت يعني المتواتر

---

(١) سورة الانفطار/ آية ٦ـ ٨.

وعلى ذلك كثير من الأشاعرة. وتوسط بعضهم وهم الماتريدية أصحاب أبي حنيفة وبعض الأشاعرة فشرطوا للاحتجاج بالحديث أن يكون مشهورًا مستفيضًا وهو أقل من المتواتر إذ لا يراعى فيه إلا أن يكون من رواية ثلاثة فأكثر. وقد اشترط الحافظ ابن حجر أن يكون الحديث الوارد في الصفات متفقًا على ثقة رواته، ومثل ذلك ذكر الذهبي فلا سبيل إلى الاحتجاج بالخبر المختلَف في رواته، وكثيرًا ما تحتج الحشوية والمشبهة بالخبر الذي هو دون ذلك.

ولا دليل لمن أثبتوا لله التحيز في جهة فوق ولا حجة لهم في حديث الجارية لأن هذا الحديث من أحاديث الآحاد وظاهره معارض للحديث المتواتر. وقد قرر علماء الأصول وعلماء الحديث أن الحديث إذا خالف النص القرءاني أو الحديث المتواتر أو صريح العقل ولم يقبل تأويلًا فهو باطل موضوع مكذوب على الرسول. وعبارة الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه» ما نصه: «وإذا روى الثقة المأمون خبرًا متصل الإسناد رُدَّ بأمور: أحدها أن يخالف موجَبات العقول فيُعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجَوَّزَات العقول وأما بخلاف العقول فلا، والثاني أن يخالف نص الكتاب أو السنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ، والثالث أن يخالف الإجماع فيُستدل على أنه منسوخ أو لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون صحيحًا غير منسوخ وتجمع الأمة على خلافه»، ثم قال: «والرابع أن ينفرد الواحد برواية ما يجب على كافة الخلق علمه فيدل ذلك على أنه لا أصل له لأنه لا يجوز أن يكون له أصل وينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم، والخامس أن ينفرد برواية ما جرت العادة بأن ينقله أهل التواتر فلا يقبل لأنه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية، وأما إذا ورد مخالفًا للقياس أو انفرد الواحد برواية ما تعم به البلوى لم يُرَدّ. وقال قوم ممن ينتحلون مذهب مالك بن أنس إذا كان مخالفًا للقياس لم يجز العمل به. وقال قوم ممن ينتسبون إلى مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت لا يجوز العمل بخبر الواحد في ما تعم به البلوى» اهـ.

وأما احتجاج الوهابية لإثبات تحيز الله في السماء بحديث الجارية الذي رواه مسلم من طريق راو واحد وهو معاوية بن الحكم أن رجلًا من الصحابة أراد أن يعتق جارية له سوداء فأحضرها إلى الرسول فقال لها الرسول ﷺ: «أين الله» الحديث، فليس فيه حجة لأن ظاهره مخالف للحديث المتواتر الذي رواه خمسة عشر صحابيًا سمعه كل منهم من الرسول وهو قوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا شهدوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**[1]» هذا الحديث صريح بأن الإسلام لا يصح إلا بالشهادتين، فإن حُمل حديث الجارية على الظاهر كان معناه أن الرسول حكم للجارية لإشارتها إلى أن الله في السماء بأنها مؤمنة بالله ولا يصح عن رسول الله أن يحكم بالإيمان لمجرد قول إنسان اللهُ في السماء لأن هذه العقيدة عقيدة اليهود والنصارى وكثير من الكفار، فمستحيل أن يحكم الرسول ﷺ بهذه المقالة لإنسان بالايمان. فما أسخف الوهابية الذين يرون حديث الجارية أقوى شاهد على عقيدتهم الفاسدة حيث إنهم أخذوا بظاهره فقالوا «الله حالٌّ في السماء» يعنون العرش فوافقوا اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار. أما بعض أهل السنة فلم يأخذوا بظاهر هذا الحديث بل أوّلوه قالوا معنى ما ورد في هذا الحديث أن الرسول قال لها «أين الله» ما اعتقادك من التعظيم لله، وقولها «في السماء» معناه عالي القدر جدًّا، فلم يحكموا ببطلانه نظرًا لإمكان هذا التاويل.ثم رواية ابن حبان لحديث الجارية من حديث الشريد بن سويد صاحب رسول الله ﷺ تخالف هذه الرواية ولفظها أن الرسول قال لهذه الجارية التي جاء بها شخص «من ربك» فقالت: «الله» فقال: «ومن أنا» قالت: «أنت رسول الله» قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». هذه الرواية لا إشكال فيها لأن قول «الله ربي» بمنزلة أشهد أن لا إله إلا الله.

وقد حكم عدةٌ بشذوذ وضعف رواية مسلم لحديث الجارية قال عصرينا المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في «الفوائد المقصودة في بيان

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الأحاديث الشاذة المردودة» ما نصه: «الحديث شاذ لا يجوز العمل به» ثم قال: «وجاء حديثان مخالفان لحديث معاوية يؤكدان شذوذه فروى البيهقي في السنن من طريق عون بن عبد الله بن عتبة حدثني أبي عن جدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بأمة سوداء فقالت: يا رسول الله إن عليَّ رقبة مؤمنة أتجزئ عني هذه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم: «من ربُّك» قالت: الله ربي، قال: «فما دينك» قالت الإسلام، قال: «من أنا» قالت: أنت رسول الله، قال: «أفتصلين الخمس وتُقرين بما جئت به من عند الله» قالت: نعم فضرب ﷺ على ظهرها وقال: «أعتقيها». وروى أيضًا من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشَّرِيد بن سويد الثقفي قال: قلت يا رسول الله إن أمي أوصت إليَّ أن أعتق عنها رقبة وأنا عندي جارية نُوبيَّة فقال رسول الله ﷺ: «ادع بها» فقال: «من ربك» قالت: الله قال: «فمن أنا» قالت: رسول الله قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» اهـ. فتبين أنه لا حجة للمشبهة الوهابية وغيرهم في حديث الجارية لإثبات عقيدتهم أن الله متحيز في السماء. ولا تنسَ أن الأخذ بظاهر حديث الجارية تجسيم لله والجسم مخلوق فلا يكون الخالق جسمًا ولا يصح أن يخلق الجسم جسمًا، فالشمس جسم منير تنفع الناس والشجر والماء بضوئها وحرارتها ولا تستحق مع ذلك الألوهية لأنها جسم له مقدار وكمية ولون خاص وحدٌّ خاص فتحتاج إلى من قدَّرها بهذا المقدار وخلقها على هذا الحجم. فلو كانت الألوهية تصح للجسم لكانت الشمس أولى بالألوهية من الجسم الذي يزعم الوهابية أنه على العرش فإن نفعها مشاهد محسوس لكل أحد بخلاف ذلك الجسم الذي يدعونه.

واعجَب من ابن تيمية زعيم المشبهة حيث يعتقد أن الله حجم بقدر العرش ثم ينـزل بذاته إلى السماء الدنيا التي هي بالنسبة للعرش كقطرة في جنب بحر، فكيف صح عنده أن تسعه السماء الدنيا؟! ثم زد عجبًا حيث إنه يقول: «ينزل ولا يخلو العرش منه» كما ذكر ذلك في كتابه شرح حديث النزول، وهذا تناقض فإن

معناه ينزل ولا ينزل وهو مناقضة لقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فإن اعتقاد المشبهة فيه إثبات أمثالٍ كثيرة لله تعالى لا مثل واحد فقط، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

(١) سورة الشورى آية ١١.

فصل
في أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عقيدته موافقة لعقيدة الإمام أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي خلافًا لما تقوله المشبهة الوهابية وسلفهم

قال أبو الفضل التميمي البغدادي في رسالته التي سماها اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل: «وأنكر – أي أحمد – على من يقول بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل» اهـ.

وقال: «وكان يقول إن الله قديم بصفاته التي هي مضافة إليه في نفسه. وقد سئل هل الموصوف القديمُ وصفته قديمان، فقال: هذا سؤال خطأ لا يجوز أن ينفرد الحقّ عن صفاته. ومعنى ما قاله من ذلك أن المحدَث محدَث بجميع صفاته على غير تفصيل وكذلك القديم تعالى قديم بجميع صفاته» اهـ. وقال: «وكان – أي أحمد – يذهب إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله عزّ وجلّ ولا يجوز أن يخرج شيء من أفعالهم عن خلقه لقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[1] ثم لو كان مخصوصًا لجاز مثل ذلك في قوله لا إله إلا هو مخصوص بأنه إله لبعض الاشياء» اهـ.

قال: «وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل عن أعمال الخلق التي يستوجبون بها من الله السخط والرضا فقال هي من العباد فعلًا ومن الله خلقًا لا

(١) سورة الزمر آية ٢.

يُسأل عن هذا أحد بعدي».

وكان أحمد يذهب إلى أن الاستطاعة مع الفعل وقرأ قوله عزَّ وجلَّ ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾[1] وقرأ ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[2]» اهـ.

ثم قال عن أحمد: «وأنه متى كان في ملكه ما لا يُريدُه بطلت الربوبية وذلك مثل أن يكون في ملكه ما لا يعلمه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».

قال أحمد بن حنبل: ولو شاء الله أن يزيل فعل الفاعلين مما كرهه أزاله، ولو شاء أن يجمع خلقه على شيء واحد لفعله إذ هو قادر على ذلك ولا يلحقه عجز ولا ضعف ولكنه كان من خلْقه ما عَلِم وأراد فليس بمغلوب ولا مقهور ولا سفيه ولا عاجز برئ من لواحق التقصير وقرأ قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾[3] ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[4] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[5].

وهو عزَّ وجلَّ لا يوصف إذا منع بالبخل لأن البخيل الذي يمنع ما وجب عليه وأما من كان متفضلاً فله أن يفعل وله أن لا يفعل.

واحتج رجل من أصحابنا يعرف بأبي بكر بن أحمد بن هانئ الإسكافي الأثرم فقال جعل الله تعالى العقوبة بدلاً من الجُرْم الذي كان من عَبْدِه وهو مريد للعقوبة على الجرم» اهـ.

---

(١) سورة الفرقان آية ٩.

(٢) سورة الكهف آية ٨٢.

(٣) سورة السجدة آية ١٣.

(٤) سورةالأنعام آية ٣٥.

(٥) سورة يونس آية ٩٩.

ثم قال: «خلق الله من يعلم أنه يكفر ولم يكن بذلك سفيهًا ولا عابثًا وكذلك إذا أراد سفههم ولا يكون سفيهًا» اهـ.

ثم قال: «وذهب أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أن عدل الله عزَّ وجلَّ لا يُدرك بالعقول وإلى أن من حمله على عقله جوَّره.

وشرح بعض أصحابه ذلك فقال: لما كان الله سبحانه وتعالى لا يُتصور بالعقول ولا يتمثله التمييز وفات العقولَ دركُه ومع ذلك فهو شيء ثابت - أي دائم الوجود - وما تُصُوِّر بالعقل فالله بخلافه وكذلك صفاته» اهـ.

وقال: «وشرح بعض أصحابه ذلك فقال: لما كان سبحانه وتعالى لا يتصور بالعقول ولا يتمثله التمييز وفات العقول دركه ومع ذلك فهو شيء ثابت، ما تُصور بالعقل فالله بخلافه، وكذلك صفاته فمن حمل الربوبية وصفاتها على عقله رجع حسيرًا ورام أمرًا ممتنعًا عسيرًا. والمخالفون بنوا أصولهم في التعديل والتجويز على عقولهم العاجزة عن دركهم الربوبية ففسد عليهم النظر، وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول إن الله تعالى يكره الطاعة من العاصي كما يكره المعصية من الطائع حكاه ابن أبي دؤاد وقرأ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾[1] وانبعاثُهم طاعة لله والله يكرهه» اهـ، أي ما أراد كونه فهو تعالى يحب الطاعة لكن ما أراد للعاصي حصوله منه. وهذا معنى ما اتفق عليه أهل السنة أن الله تعالى شاء وقوع المعاصي من العاصين وهو لا يحبها فالمحبة ليست ملازمة للإرادة لأن الله تعالى أمر الكافرين بالايمان ولم يحصل منهم وهو يحب أن لو ءامنوا.

(١) سورة التوبة آية ٤٦.

بيان أن الذي أوصل الوهابية إلى التشبيه أصل اعتقادهم الفاسد

وقد حدث في عصرنا هذا مؤلفات والعياذ بالله تسوق الناس إلى اعتقاد الحدّ لله تعالى، بالعبارة الصريحة تنطق أنَّ لله تعالى حدًّا، من ذلك ما قاله زعيم الوهابيَّة في شرحه على العقيدة الطحاوية، وهي عقيدة سنيَّة مؤلفها كان من أهل السلف، ولها شروحات عدّة، منها لأهل السنَّة ومنها لأهل الضلال، والمشبّهة لم يشرحوها إلا ليُلبسوا على الناس، ليُموهوا على الناس أنهم على عقيدة السلف ويتَّبعون السلف، لذلك حذفوا منها بعض العبارات التي لا تناسب هواهم، لأن فيها تنزيهًا، والتنزيه والتشبيه ضدان لا يتفقان، فحذفوها حتى لا تنقض عليهم ما ذهبوا إليه من تشبيه الله تعالى بخلقه، ومن هؤلاء الشراح الذين تصدَّروا لشرحها من شياطين الوهابية وأذناب قرن الشيطان ابن عبد الوهاب رجل يقال له ابن باز، فإنه شرح العقيدة الطحاوية شرحًا يوافق عقيدة التشبيه والتجسيم، ولما وصل إلى قول الطحاوي: «تعالى عن الحدود» قال ابن باز: «أي له حدٌّ لا يعلمه إلا هو» والعياذ بالله تعالى. عند الوهابية من لم يُثبت لله تعالى حدًّا فليس مسلمًا بزعمهم، إلى هذا الحدّ وصلُّوا، والحدُّ عن الله منفي بقول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومنفيٌّ على لسان السلف بقولهم: «من زعمَ أنَّ إلهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالق المعبود[1]»، لأن كل شيءٍ من الأجرام له حد، فالله تعالى لو كان له حدٌّ لكان له أمثال لا تُحصى، لكان العرش مِثلاً له، ولكان الانسان مِثلاً له، وكذلك البهائم والاحجار والاشجار والارض والسموات والنجوم والكواكب، لأن كلّ هذه الاشياء لها حدٌّ، فلو كان الله له حدٌّ لكان له أمثال لا تُحصى ولا تُحصر ولا تُعدُّ، فيناقض ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

(١) ذكره في حلية الأولياء عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١/ ٧٣.

شَيۡءٞ﴾. فالله تبارك وتعالى نفى عن نفسه أن يكون له مِثلٌ على الإطلاق، لا مِثلٌ واحدٌ ولا أمثالٌ كثير، هؤلاء لفساد أذهانهم يقيسون الخالق على المخلوق، على زعمهم الشيء الموجود لا بُدَّ له من حدّ لذاته، فقاسوا الخالق على المخلوق، فجعلوا له حدًّا، وهم في ذلك اقتدوا بأسلافهم، كابن تيمية ومن كان على شاكلته ممَّن قبله ومن كان على مشربه ممَّن لحق به، وابن تيمية اقتدى بمن كان قبله من مجسّمة الحنابلة الذين انتسبوا للإمام أحمد بن حنبلٍ انتسابًا فقط والإمام بريء منهم، فقد نقل عنه أبو الفضل التميميُّ الذي كان رئيسًا للحنابلة ببغداد في كتابه المسمى «اعتقاد الإمام المبجَّل أحمد بن حنبل»، أنه قال عن الله تعالى: «بلا حدّ»، عبارة صريحة في نفي الحدّ عن الله تعالى. هذا أبو الفضل التميميُّ قبل ابن تيمية بزمانٍ، وهو من رؤوس الحنابلة، من كبارهم، لكن في عصر أبي الفضل التميميّ وقبله بقليلٍ وبعده كان أناس ينتسبون للإمام أحمد ويخالفونه في المعتقد، يثبتون لله الحدّ، وابن تيمية لحق هؤلاء، لم يلحق بأحمد، ولا بالذين كانوا على طريقته، بل انتسب انتسابًا من غير موافقةٍ له في المعتقد، بل وفي الأعمال خالفه في أشياء كثيرة، في نحو ستٍ وثلاثين مسئلة.

ثم إنكم أيها الوهابية كاذبون في دعوى السلفيَّة، أيُّ سلفيّ نسب لله الحد؟ فتسميتكم أنفسكم بهذا الاسم حرام، لأنها توهم أنكم على عقيدة السلف، وأنتم لستم على عقيدة السلف ولا الخلف، أنتم تدينون دينًا جديدًا، لأن من نسب لله الحدَّ فهو جاهل بخالقه كافر به، ما عبده ولا ءامن به، وما نزّهه عما لا يليق به، أئمة السلف هكذا يقولون: «من زعم أن إلهنا محدود فقد جَهِلَ الخالق المعبود»، أي من زعم أن الله حجمٌ فهو كافرٌ بالله ما عرفه، وهذا زعيمكم ابن بازٍ يقول عن الله: «له حَدٌّ»، فأين أنتم وأين السَّلف؟!

ثم هذا زعيمهم بعد أن نسب لله الحدّ والعياذ بالله تعالى قال: «لا يعلمُهُ إلا هُوَ»، ظنًّا منه أنَّ ذلك تعظيم لله تعالى، لأنَّ هؤلاء المجسّمة يعتقدون أنَّ الله

تعالى أكبر من العرش ببلايين المرات، على زعمهم له حجم كبير جدًّا لكن نحن لا نعلمه، بزعمهم هو يعلمه فقط، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. قلنا بل قوله هذا فيه تلبيس وتمويه وكفر، فقوله عن الله تعالى: «له حدٌّ» شتم لله تعالى، لأنه وصفه بالعجز، أما قوله: «لا يعلَمُهُ إلا هُو» افتراء على الله تعالى، لأن معنى كلامه أنَّ الله تعالى هو وحده الذي يعلم هذا الحدّ، جعل الله تعالى محدودًا ثم زعم أنَّ الله تعالى هو وحده عالمٌ بحدّ نفسه، جعل الله تعالى عاجزًا وعالمًا بعجز نفسه، لأن المحدود يحتاج إلى من حدَّه، أي خصَّصه بهذا الحدّ دون غيره، والمحتاج لا يكون إلا عاجزًا، والعاجز لا يكون إلا مخلوقًا، والمخلوق لا يستحق أن يُعبد، فقوله هذا عن الله تعالى لا شك أنه كذب على الله تعالى، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[1]. ونحن أهل السنّة والجماعة نتحدى المشبهة قاطبةً أن يجدوا ءايةً في كتاب الله تعالى أو حديثًا عن رسوله ﷺ أو قولًا لعلماء السلف أو الخلف السّنيين على ما افتراه زعيمهم هذا من نسبته الحدّ إلى الله تعالى. ثم يا أولي الألباب، من هو أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، أعليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه الذي شهد له رسول الله ﷺ بأنه أعلم الأمة، فقال لابنته فاطمة يوم أن زوَّجها له: «زوَّجتُكِ بأعلَمِ أمتي بسنَّتي» والذي كان يقول فيه الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «نعوذ بالله من مُعضلةٍ ليس لها أبو الحسن» لكونه أعلم الصحابة، أم ابن بازٍ هذا الذي قال عن نفسه إنه لم يُكمل صحيحي البخاري ومسلم وذلك باعترافه في مقابلةٍ أُجريت له في مجلةٍ يُقال لها «سيدتي»؟ أنترك قول أعلم الصحابة والمسلمين ونتبع قول أعمى البصر والبصيرة أم نتبع قول أعلم الصحابة والمسلمين وننبذ قول أعمى البصر والبصيرة؟!

أما نحن أهل السنة والجماعة فنتبع قول إمام التوحيد ومصباح التفريد، الإمام الهُمام، عليّ عليه السلام: «من زعم أنَّ إلهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالِقَ المعبود»،

---

(١) سورة الزمر آية ٦٠.

لأنَّ الإمام عليًّا رضي الله عنه من السابقين الأولين ومن المهاجرين الذين شملهم قول الله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، وهذا القول في تنزيه الله تعالى عن الحدّ من عليّ رضي الله عنه لا بدَّ أنه سمعه من الرسول نصًّا أو معنى، ثم هو يدخل في شرح قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وشرح قوله: «**وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار**»، بعد هذا كيف لا نتبع عقيدة من «رضي الله عنهم»؟ لأنَّ تقرير الإمام عليّ رضي الله عنه لهذه العقيدة هو تقرير لعقيدة الرسول ﷺ والصحابة أجمعين، والرسول ﷺ قال: «**عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**[2]» أي عليكم بشريعتي من عقيدةٍ وأحكامٍ وما عليه الخلفاء الراشدون من بعدي، وعليٌّ رضي الله عنه من هؤلاء الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، لذلك نتمسّك بعقيدتهم، ونحرسها، وندافع عنها، ونُعلّمها لكبارنا، ونُحفظها لصغارنا.

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠.

(٢) رواه أبو داود في سننه.

طريق سهل لكسر الوهابية

يقال لهم: أنتم دينكم جديد أنشأه محمد بن عبد الوهاب بدليل أن المسلمين ما كان أحد منهم يحرم قول: «يا محمد» قبل ابن عبد الوهاب، حتى الذي محمد بن عبد الوهاب يسميه شيخ الإسلام وهو ابن تيمية يقر قول: «يا محمد» لمن أصابه في رجله خدر، فهو يقول: «مطلوب أن يقول الذي أصابه خدر في رجله – أي مرض في رجله تتعطل حركتها وليس هذا المسمى التنميل – (يا محمد)» يستدل بعبد الله بن عمر رضي الله عنه فإنه كان أصابه خدر في رجله فقيل له: «اذكر أحب الناس إليك»، فقال: «يا محمد». فتعافى.

ويقال للوهابية: ابن تيمية الذي تسمونه شيخ الإسلام أجاز هذا وأنتم تسمونه كفرًا؟! حتى ابن تيمية بريء منكم في هذه المسئلة، فكيف تدعون أنكم على دين الإسلام ولستم على دين الإسلام، وأنتم كفّرتم الأمة، والأمة لم يكن فيهم خلاف في جواز قول: «يا محمد» فأنتم أول من حرم هذا، ومن كفّر الأمة فهو الكافر لأن الأمة لا تزال على الإسلام فقد روى البخاري في صحيحه: أن النبي ﷺ قال:

«لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله[1]».

فإن قالوا: ابن تيمية ما قال هذا، يقال لهم: يشهد عليكم كتابه «الكلم الطيب» والعلماء الذين ترجموا لابن تيمية ذكروا هذا الكتاب في أسماء كتبه ومنهم صلاح الدين الصفدي وكان معاصرًا لابن تيمية ويتردد عليه فقد ذكر أن هذا الكتاب من تأليف ابن تيمية، ويقال لهم أنتم طبعتم هذا الكتاب في الرياض ونسبتموه لابن تيمية.

ثم زعيمكم الأخير الألباني اعترف وقال: هذا الكتاب ثابت لابن تيمية وعمل

---

(١) رواه البخاري.

عليه تعليقًا لكنه قال: إن إسناد قول ابن عمر (يا محمد) لما خدرت رجله ضعيف، وهذا لا يعكر علينا لأنه ثبت أن ابن تيمية أورده وقال: «فصل في الرجل إذا خدرت». وسمى الكتاب: «الكلم الطيب» صفحة / ٧٣، ولو فرض أن إسناده ضعيف لكن ثبت أن ابن تيمية أجاز هذا وقال عن قول يا محمد كلمًا طيبًا وأنتم تقولون عنه كلمًا شركيًا، فمن الذي يكفر أهو الذي تسمونه شيخ الإسلام أم أنتم؟! لأنكم كفرتموه حكمًا وإن لم تشعروا، هنا لا يتجرؤون أن يقولوا ابن تيمية كافر ولا يقولون عن أنفسهم نحن كفار، نقول: إذن أنتم دينكم جديد، كفرتم المسلمين من أيام الرسول ﷺ إلى أيامنا، ومن حيث المعنى كفرتم زعيمكم ابن تيمية لأنه استحسن قول يا محمد عند خدر الرجل ومن استحسن الكفر فهو كافر، فهل لكم من جواب، هذه تكسر ظهورهم.

على أن قول الألباني ليس حجة لأنه ليس أهلًا للتضعيف والتصحيح لأنه محروم من الحفظ فهو ليس حافظًا باعترافه فلا يحفظ عشرة أحاديث بأسانيدها، فإنه قال عن نفسه: أنا محدث كتاب لست محدث حفظ.

ولو قال أحدهم: ابن تيمية رواه من طريق راو مختلف فيه يقال لهم: مجرد إيراده لهذا في هذا الكتاب دليل على أنه استحسنه إن فرض أنه يراه صحيحًا وإن فرض أنه يراه غير صحيح، لأن الذي يورد الباطل في كتابه ولا يحذر منه فهو داع إليه.

وهذه القصة رواها الحافظ ابن السني والبخاري في كتاب «الأدب المفرد» بإسناد ءاخر غير إسناد ابن السني، ورواها الحافظ الكبير إبراهيم الحربي الذي كان يشبه بالإمام أحمد بن حنبل في العلم والورع في كتابه: «غريب الحديث» بغير إسناد ابن السني أيضًا، ورواها الحافظ النووي، والحافظ ابن الجزري في كتابه «الحصن الحصين» وكتابه «عدة الحصن الحصين» ورواها الشوكاني، الذي هو يوافقكم في بعض الأشياء وهو غير مطعون فيه عندكم، فيا وهابية أين المفر؟ ويالها من فضيحة عليكم وابن تيمية هو إمامكم الذي أخذ ابن عبد الوهاب بعض أفكاره التي خالف فيها

المسلمين من كتبه.

فإن قلتم: نحن على صواب وابن تيمية استحل الشرك والكفر، قلنا: قد كفرتم ركنكم في عقيدة التشبيه وفي غيره من ضلالاته وتكونون اعترفتم بأنكم متبعون لرجل كافر تحتجون بكلامه في كثير من عقائدكم، فقد اتبعتموه في قوله الذي كفر بسببه وهو قوله: «إن كلام الله حادث الأفراد قديم النوع أي الجنس». وقوله: «إن جنس العالم أزلي ليس مخلوقًا» في هذا الكفر هو ركنكم فقد تبعتموه وجعلتموه قدوة لكم فيما خالف فيه الحق وخالفتموه فيما وافق فيه الصواب وهو جواز الاستغاثة بالرسول عند الضيق بقول: يا محمد.

ثم إنكم كاذبون في دعوى السلفية، أي سلفي أنكر قول: «يا محمد» عند الضيق؟ فتسميتكم أنفسكم بهذا الاسم حرام لأنها توهم أنكم على عقيدة السلف وأنتم لستم على عقيدة السلف ولا الخلف، أنتم تدينون دينًا جديدًا، لأن قول: «يا محمد» للاستغاثة جائز عند السلف والخلف في حياة الرسول وبعده بالاتفاق، وإنما حُرِّم نداؤه ﷺ: «يا محمد» في وجهه في حياته بعد نزول الآية ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1]، وكان سبب تحريم ذلك أن قومًا جفاة نادوه من وراء حجراته: «يا محمد اخرج إلينا» فحرم الله تعالى ذلك في وجهه تشريفًا له.

وكان توسل الأعمى الذي طلب من الرسول أن يدعو له بالشفاء فعلمه الرسول أن يقول: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل في حاجتي**[2]». خارج حضرة الرسول لأنه قال له: «ائت الميضأة فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات» فذهب الرجل فتوضأ وصلّ ركعتين ودعا بهذا التوسل ثم رجع إلى الرسول ﷺ وقد أبصر كما دل على ذلك

---

(١) سورة النور آية ٦٣.

(٢) رواه الشيخان.

قول الصحابي راوي الحديث فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر، وهذا دعاء في غير حضرة الرسول في حياته عليه السلام، وأنتم قد تبعتم ابن تيمية فيما قاله في كتابه «التوسل والوسيلة» إنه لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر، لكن بهذه الاستغاثة التي استحسنها ابن تيمية والتي هي استغاثة به ﷺ بعد وفاته خالفتموه وجعلتم ذلك شركًا وكفرًا، فما أبعدكم عن الحقّ!!

ويقال أيضًا في الرد عليهم في قولهم بإثبات التحيز لله في العرش: أما نحن أهل السنة نؤول قول الله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]. ونؤول كل ءاية أو حديث ظاهره أن الله متحيز في الجهة والمكان أو أن له أعضاء أو حدًّا أو حركةً وانتقالًا أو أي صفةٍ من صفات الخلق تاويلًا إجماليًا أو تاويلًا تفصيليًا كما ثبت ذلك عن السلف وتبعهم الخلف، ونقول: ليس المراد ظواهرها بل المراد بها معانٍ تليق بالله تعالى كما قال بعضهم: «بلا كيف ولا تشبيه». يعني أهل السنة بقولهم بلا كيف أن هذه الآيات والاحاديث ليس المراد بها الجسمية ولوازمها، هذا مراد السلف والخلف من أهل السنة بقولهم: «بلا كيف» ليس مرادهم كما تموهون على الناس فتقولون لفظًا: «بلا كيف» وتعتقدون الكيف.

وأما التأويل التفصيلي فقد ثبت عن السلف وإن كانوا لم يكثروا منه فقد ثبت عن الإمام أحمد بن حنبل تأويل المجئ الذي ذكر في هذه الآية ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2].

أنه قال: جاء ثوابه وروي عنه أنه قال: «جاء أمره» وأنتم قلتم: إن مجئ الله بالنزول الحسي بالانتقال من العرش إلى الأرض كما أن الملائكة ينزلون نزولًا حسيًّا بالانتقال من أماكنهم العلوية إلى الأرض يوم القيامة. ولو كان الإمام أحمد يعتقد اعتقادكم ما أول الآية بل أقرها على الظاهر كما أنتم تفسرون. وهذا التأويل من الإمام أحمد ثابت صححه البيهقي في كتابه مناقب الإمام أحمد.

---

(١) سورة طه آية ٥.

(٢) سورة الفجر آية ٢٢.

وكذلك ثبت عن السلف تفسير الساق المذكور في ءاية ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1]. بأن الساق هي الشدة الشديدة، وأنتم جعلتم الساق عضوا كما أن للإنسان عضو الساق، فأين أنتم من تنزيه الله عن مشابهة الخلق، فظهر أن انتسابكم إلى الإمام أحمد انتساب كاذب.

والبخاري ذكر في جامعه تاويلين لآيتين، أول ءاية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2]. أول الوجه بالملك، وكذلك ذكر سفيان الثوري في تفسيره، والموضع الثاني الذي أول البخاري فيه ءاية ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾[3] أولها بالملك والسلطان. ما أول كما تعتقدون بمعنى المس، وظاهر الآية أن الله يقبض بناصية كل دابة وهذا تشبيه لأنه لا يجوز على الله أن يَمس أو يُمس لأن المس من صفات الخلق.

كذلك حديث مسلم: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**» هذا فنؤوله ونقول: القرب في هذا الحديث لا يراد به القرب المسافي، وكذلك في كل حديث وءاية ظاهرهما أن الله متحيز في جهة فوق يؤوّلن ولا يحملن على الظاهر، فأين أنتم من قولكم: «التأويل تعطيل». ومن قولكم التأويل إلحاد.

ويقال لهم: حديث مسلم هذا إن لم تحملوه على الظاهر بل أولتموه فقد ناقضتم أنفسكم فإنكم تقولون: «التأويل تعطيل». ثم تفعلونه فتؤولون.

الحمد لله الذي نصر الحق وجعلنا من جنود سيدنا محمد ﷺ الذين يدافعون عن عقيدته وعن دينه بالبيان والدليل الساطع.

---

(١) سورة القلم آية ٤٢.

(٢) سورة القصص آية ٨٨.

(٣) سورة هود آية ٥٦.

التقسيم البدعي للتوحيد والرد عليه

نجد اليوم في بعض الكتيبات والرسائل، مسألة شاعت بين الناس حتى أصبحت عند فئة منهم ميزانًا للتفرقة بين الموحد والمشرك، وهذه المسألة هي تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

فقد قسم ابن تيمية التوحيد إلى:

١) توحيد الربوبية.

٢) توحيد الألوهية.

٣) توحيد الأسماء والصفات.

- فهذا التقسيم لم يصرح به الشرع ولم تنص عليه الأدلة المعتبرة.

- ولا يوجد فرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

ولم يقل الإمام أحمد بن حنبل -الذي يدعي النسبة إليه أصحاب هذا التقسيم البدعي-: إن التوحيد أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون.

فإن عقيدة الإمام أحمد مدونة في مصنفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي وفي غيره ليس فيها هذا التقسيم المبتدع.

ولم يقل أي صحابي من أصحاب النبي ﷺ إن التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وإن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون.

ولم يأت في سنة النبي ﷺ الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عز وجل من صحاح

وسنن ومسانيد ومعاجم، أن النبي ﷺ كان يقول لأصحابه ويعلمهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية والألوهية، وأن هذا يعرفه المشركون.

وكذلك كتب السنة طافحة بأن دعوته ﷺ الناس إلى الإيمان بالله تعالى كانت بالنطق بالشهادة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن فقال له: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة** – الحديث»[1]، وروى أصحاب السنن وابن حبان أنه ﷺ أخبره أعرابي برؤية الهلال فأمر بالصيام ولم يسأله النبي ﷺ إلا عن الإقرار بالشهادتين»[2].

ولم يرد في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تفريق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، ولا أنَّ من لا يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بإيمانه بل هو أكفر من فرعون وهامان بل أمر عز وجل بكلمة التوحيد مطلقة فقال مخاطبًا نبيّه ﷺ «**فاعلم أنه لا إله إلا الله**» وهكذا جميع ءايات التوحيد المذكورة في القرءان واقرأ إذا شئت سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرءان فلا تجدها فرقت بين الألوهية والربوبية كما يزعمون.

وقد قال أهل الحقّ في الردّ على هذ المقولة الفاسدة: يلزم هذا التقسيم المبتدع على الله تبارك وتعالى أنه لم يكمل دينه ثم جاء من أكمله بعد نقصانه وبين التوحيد بأقسامه للناس في القرن السابع الهجري فكأن الأمة كلها لم تعرف التوحيد الذي عرفه أصحاب هذا التقسيم المبتدع.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٤٠)، والنسائي (٢١١٢-٢١١٣)، والترمذي.

لا فرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية

وها نحن نعرض بعض الأقوال لأصحاب هذا التقسيم المبتدع الذين قالوا ثم نرد عليهم:

قال بعض الفاسدين: «إن المشركين كانوا موحدين توحيد الربوبية وكانوا غير موحدين توحيد الألوهية لاتخاذهم ءالهة تقربهم إلى الله تعالى وقالوا: إن المسلمين المتوسلين أو المستغيثين بالأنبياء والصالحين والمتبركين بهم كفار بل كفرهم أشد من كفر أبي لهب وفرعون وهامان وغيرهم»[1].

وهذه مخالفة صريحة للأدلة الشرعية وللمعلوم من الدين بالضرورة عند العلماء، ولبيان فساد هذا القول وإيضاح بطلانه وكشف عوار من قال به يقال بأنه لا فرق بين توحيد الألوهية والربوبية، وهما أمران متلازمان لا ينفكان، ولن يقبل الله من العباد سوى عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين قولًا باللسان واعتقادًا بالجنان وإذعانًا للأركان والمعبر عنها بكلمة (لا إله إلا الله) وبهذا أرسلت الأنبياء وبعثت الرسل أجمعون.

ثم إن القول بأن الكفار والمشركين على مرّ العصورِ كانوا موحدين توحيد ربوبية وأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ما بُعثوا إلا بتوحيد الألوهية تجنٍ على الحقّ والحقيقة، ومكابرة للعقل والشرع، وتكذيب لصريح النصوص في الكتاب والسنة وبدعة ضالة لم تكن في سلف الأمة الأول، وهي تخريب عقدي مدمر، وتناقض متهافت يجعل من المسلمين موحدين ولا موحدين في الوقت نفسه على أن واقع الأمر يحتم أن الشخص إما موحد وإما مشرك، وليس هناك منزلة بين المنزلتين.

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٤/ ٣٨٠).

ثم إن المشركين الذين زعم أصحاب هذا التقسيم أنهم موحدون توحيد ربوبية لم يكونوا كذلك قط وهذه فرية كسيحة ودعوة مردودة بالعقل والنقل.

* أما العقل: فلأن المشركين لو كانوا موحدين توحيد ربوبية بمعنى أنهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا لا شك فيه أن الله هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير والتقدير والفعل والتأثير والنفع والضر لما كان هناك مبرر في العقل لأن يعبدوا ما لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا كعبادة الأوثان.

لقد كان المشركون في كل زمان ومكان يعبدون ءالهة من دون الله يعتقدون فيها الفعل والتأثير والنفع والضر وتجلب الخير لكل من لاذ بها وتصيب بالأذى كل من تعرض لها وهذا كله ينافي التوحيد.

* أما النقل: فالنصوص الشرعية التي تثبت أن المشركين في كل زمان ومكان لم يكونوا موحدين قط صريحة ومحكمة وقاطعة وهي كلها تثبت أنهم كانوا مشركين مطلقًا.

١- قال الله تبارك وتعالى: حكاية عن المشركين حينما سئلوا عن سر عبادتهم لأصنامهم من دون الله ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1] وهذا صريح في أن الكفار كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها تملك هدايتهم وتقريبهم من الله فأين توحيد الربوبية؟

٢- وهذا نبي الله هود عليه السلام حين حاور المشركين في معبوداتهم وبيّن لهم أنها لا تملك لهم شيئًا من دون الله ردوا عليه بقولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ﴾[2] وهذا أيضًا صريح في أن المشركين كانوا يعتقدون في معبوداتهم وأصنامهم النفع والضر والفعل والتأثير حيث إنها تصيب بالسوء في

---

(١) سورة الزمر، الاية: ٣.

(٢) سورة هود، الاية: ٥٤.

اعتقادهم، مما يدلك على أن المشركين كانوا يشركون مع الله غيره في الربوبية خلافًا لما يزعمه المبتدعة.

٣-يقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾[1] لقد كان نمرود يدّعي الربوبية بملكه وسلطانه وجبروته وكان يزعم أن له خصائص الربوبية من إحياء وإماتة، ثم هو بعد ذلك يجادل إبراهيم عليه السلام في ربه لا في إلهه كما تنص على ذلك الآية فهل يستطيع قائل بعد هذا أن يقول: إن نمرود كان موحدًا توحيد ربوبية وإن إبراهيم عليه السلام جاء يدعوه إلى توحيد الألوهية فقط؟!

وقد أجمع المفسرون على أن الله يُبكت دعوى الكافرين بأن عبادتهم لم تكن قربى ولكنها عبادة محضة لغير الله سبحانه، ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾[2] وقد دحضت سورة الكافرون زعم ابن تيمية الذي ادّعاه في الآية ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[3] وهي أنهم كانوا يتقرّبون بها إلى الله تعالى، ولم تكن عبادة محضة مستقلة، وأن الله عز وجل قد جعل تقربهم بها إلى الله تعالى عبادة لِيُقَعّدَ قاعدة توهم في عقله أن الأمة الإسلامية كافرة وعابدة لغير الله إذا ذبحت النذور لله تعالى في مواضع قبور الصالحين وغيرها، حتى صار بعض أتباعه يعتقدون كفر المسلمين، وأن كل قربى شرك وضلال فبعدت بهم النجعة وضلوا السبيل، لأن الاستعانة التي أذن بها تختلف عن الاستعانة التي لم يأذن الله بها قال تعالى ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾[4] وقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(١) سورة البقرة:الاية: ٢٥٨.

(٢) سورة الكافرون.

(٣) سورة الزمر آية ٣.

(٤) سورة النساء،الاية: رقم ٨٥.

نَسْتَعِينُ ﴾.

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام وهو يدعو أصحاب السجن إلى عقيدة التوحيد الخالص ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[1]، وتأمل معي قول الصديق عليه السلام أأرباب متفرقون ولم يقل ءالهة وهو صريح في أن أهل السجن كانوا يعبدون أكثر من رب وأكثر من إله، فهل يستساغ في العقول السليمة بعد ذلك أن يقال: إن هؤلاء المشركون كانوا موحدين توحيد ربوبية وأنّ الصدّيق عليه السلام جاءهم بتوحيد الألوهية فقط؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم!

يقول الله تعالى حكاية عن فرعون حينما استخف قومه فأطاعوه ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[2] وهكذا زعم فرعون الربوبية لنفسه ودان له بهذه الربوبية قومه فهل يسمح لنفسه من عنده ذرة من فهم أن يدعي أن فرعون وقومه كانوا موحدين توحيد ربوبية وإنما جاءهم الكليم عليه السلام بتوحيد الألوهية وحدها؟! ثم إنّ فرعون ادعى الألوهية أيضًا عندما قال: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾[3] وهذا يدل على أنه لا فرق بين الألوهية والربوبية، فمن ادعى لنفسه الربوبية فقد جعل من ذاته إلـهًا، ومن ادعى الألوهية فقد جعل من نفسه ربًا لغيره.

ثم إن الميت في قبره لا يُسأل في ذلك الموقف العظيم عن الألوهية وتوحيدها بل يقول له الملك: من ربك؟[4]، فلو كان الأمر كما يزعم ابن تيمية لما كان لسؤال الملك حاجة أو نفع، إذ إن الناس كلهم عند ابن تيمية يعتقدون بتوحيد الربوبية، فلما كان الأمر كذلك دلّ على أنه ليس كما يدعيه.

---

(١) سورة يوسف،الاية: رقم ٣٩.

(٢) سورة النازعات،الاية: ٢٤.

(٣) سورة القصص،الاية: رقم ٣٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٧١).

وقد يتمسك أصحاب هذا التقسيم القائلون بأن المشركين كانوا موحدين ربوبية بمثل قوله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2]. وبما شابه ذلك من الآيات وهو في القرءان كثير فنقول: إن هذه شبهة أوهى من بيت العنكبوت عند كل من كان له عقل وبصيرة.

فأولًا: المشركون يقرون بألسنتهم بوجود الله عند إقامة الحجة عليهم وقلوبهم تأبى ذلك وتنكره على حد قوله تعالى ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾[3] ومجرد الإقرار باللسان دون أن يكون هناك تصديق قلبي لا قيمة له ولا عبرة به في شرع الله.

ثانيًا: إن مجرد الإقرار بأن الله تعالى هو خالق السموات والأرض لا دليل فيه على توحيد الربوبية الذي يزعمونه فهم مع إقرارهم بأن الله تعالى هو الخالق للسموات والأرض يؤمنون أيضًا بأن ءالهتهم تشارك الله تعالى في الإيجاد والتأثير في إيصال الخير ودفع الشر وجلب النفع وإبعاد الضر ولولا ذلك ما عبدوها، وهذه مناقضة واضحة للقول بكونهم موحدين توحيد ربوبية.

---

(١) سورة الزمر آية ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٦-٨٧.

(٣) سورة التوبة آية ٨.

ردود على شبهات أدعياء السلفية

إنّ من شرّ البدع التي أحدثها أدعياء السلفية بدعة تقسيم التوحيد إلى: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. إنّ ابن تيمية ومَن حذا حذوه يعتبرون التبرّك بآثار الصالحين التوسّل عبادة وشركًا بالله تعالى، ويسمّون المعتقدين بجواز التوسّل: مشركين، وثنّيين، عبّاد القبور، زعمًا منهم أنّ هؤلاء المسلمين لم يوحّدوا توحيد الألوهية، وإنما وحّدوه توحيد الربوبية فقط.

فالتوحيد عند هؤلاء ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات الأسماء والصفات. وفسّر رئيس نحلتهم وإمام بدعتهم محمد بن عبد الوهاب الأنواع الثلاثة في رسالته المسمّاة «الرسالة المفيدة المهمة الجليّة» بقوله: أما توحيد الربوبية فهو الذي أقرّ به الكفّار على زمن رسول الله ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحلّ دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى. والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾[2]. وأما توحيد الألوهية فهو الذي وقع فيه النزاع من قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة. ودليل الدعاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى

(١) سورة يونس آية ٣١.

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٤ – ٨٩.

سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1]. وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرءان. وأما توحيد الأسماء والصفات، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[3]. هذا هو قول ابن عبد الوهاب في التوحيد، وأمّا قول ابن تيمية فيه فقد ذكره أبو حامد بن مرزوق بقوله: وقد اطّلعت على كلام لابن تيمية في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية مفرّق في أربعة مواضع من كتبه، سأذكره كلّه ليراه القرّاء، ثم أُبْطِلُهُ.

وقال أبو حامد ما ملخّصه: جاء في صحيفة ٢١٩ من الجزء الاول من الفتاوى الفقهية لابن تيمية في تفسير قوله ﷺ: «**ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ**» قوله: والمعنى أنّ صاحب الجدّ لا ينفعه جدّه، أي لا ينجيه منك جدّه، وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح، والجدّ هو الغنى وهو المال.

كما نقل قول ابن تيمية بعد كلام: فبيّن في هذا الحديث أصلين عظيمين، (أحدهما) توحيد الربوبية وهو أن لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطاه، ولا يتوكّل إلا عليه ولا يسأل إلا هو. (الثاني) توحيد الألوهية، وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع، وأنه ليس كل مَن أُعطي مالا أو دنيا أو رئاسة كان ذلك نافعًا له عند الله منجيًا له من عذابه، فإنّ الله تعالى يعطي الدنيا مَن يحبّ ومَن لا يحبّ، ولا يعطي الإيمان إلا مَن يحبّ. وقال في صحيفة ٢٧٥ من الجزء الثاني من فتاويه الفقهية في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، فإن المقصود بيان حال العبد المحض لله تعالى الذي يعبده ويستعينه، فيعمل له ويستعينه، ويحقق قوله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾، توحيد

---

(١) سورة غافر آية ٦٠.

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠.

(٣) الرسالة المفيدة لمحمد بن عبد الوهاب: طبعة السعودية: ٣٩ – ٤٢.

الألوهية وتوحيد الربوبية، وإن كانت الألوهية تتضمّن الربوبية، والربوبية تستلزم الألوهية فإن أحدهما إذا تضمّن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فجمع بين الاسمين، فإنّ الإله هو المعبود الذي يستحقّ أن يعبد والربّ هو الذي يربّ عبده[1].

وقال في صحيفة ٦٢ من الجزء الثاني من كتابه «منهاج السنّة» في حقّ علماء المسلمين أصحاب علم الكلام ما نصّه: فإنهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه العزيز فعدلوا عنها إلى طرق أخرى مبتدعة، فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحقّ المشترك بينهم وبين غيرهم، ودخلوا في بعض الباطل المُبْدَع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الألوهية، وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الاقرار بأنّ الله خالق كل شيء وهذا التوحيد كان يقرّ به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2]، وقال عنهم: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[3]، وقال عنهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[4]، فالطائفة من السلف تقول لهم: مَن خلق السموات والأرض فيقولون الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا فيكون الدين كله لله. وقال في صحيفة ٣٤ من رسالة أهل الصفّة: توحيد الربوبية وحده لا ينفي الكفر ولا يكفي[5]. هذا قول ابن تيمية

---

(١) راجع براءة الأشعريين من عقائد المخالفين: الطبعة الثانية: ١:٩٤.

(٢) سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) سورة المؤمنون آية ٨٧.

(٤) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٥) راجع براءة الأشعريين لأبي حامد: الطبعة الثانية: ١: ٩٥.

في التوحيد، وسنكتفي بالردّ على قول ابن تيمية باعتباره الرئيس الأول لأهل البدع هذه، وخير ردّ عثرنا عليه في الردّ عليهم ما جاء في براءة الأشعريين لأبي حامد بن مرزوق، وفيما يلي ملخّصه:

قال: أما قوله: (فبيّن في هذا الحديث أمرين عظيمين)، فإنّ فاعلَ بَيَّنَ في الحديث إمّا أن يكون راجعًا إلى النبيّ ﷺ، بأن يكون قد بيّن أنّ التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، أو راجعًا إلى الحديث بأن يكون الحديث نفسه بيّن ذلك، ولا شكّ أنه كذب مكشوف، فانحصر الفاعل في فهمه، وكان الواجب أن يقول: فهمت من الحديث أصلين عظيمين حتّى لا يلتبس الأمر على العوام[1].

وأما تقسيم التوحيد فقال أبو حامد في إبطاله: لم يقل أحمد بن حنبل –الذي انتسب إليه كذبًا– لأصحابه: إنّ التوحيد قسمان توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإنّ من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته لتوحيد الربوبية، لأنّ هذا كان يعرفه المشركون، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدونة في مصنفات أتباعه، في مناقبه لابن الجوزي وفي غيره، ليس فيه هذا الهذيان. وكذا لم يقل أي أحد من أتباع التابعين لأصحابه، ولا أيّ صحابي من أصحاب النبيّ ﷺ: إنّ التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأنّ مَن لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتدّ بمعرفته لتوحيد الربوبية، لأنّ هذا يعرفه المشركون، فلو اجتمع الثقلان مع ابن تيمية على إثبات هذا التقسيم عن أي واحد منهم لا يستطيعون، وإنّي أتحدّى كلّ مَن له إلمام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المبتدع ولو برواية واهية[2]. وكذا لم يأت في سنّة النبّي ﷺ الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عزّ وجلّ، من صِحاح وسُنن ومسانيد ومعاجم، أنّ النبيّ ﷺ كان يقول لأصحابه ويعلّمهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأنّ مَن لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتدّ بمعرفته لتوحيد الربوبية،

---

(١) المرجع نفسه: ١: ١٠٠.

(٢) راجع براءة الأشعريين: ١: ٩٦.

لأن هذا يعرفه المشركون، فلو اجتمع معه الثقلان على إثبات هذا الهذيان عن النبيّ ﷺ بإسناد ولو واهيًا، لا يستطيعون. بل كتب السنّة طافحة بأن دعوته ﷺ للناس إلى الله كانت إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبيّ ﷺ إلى اليمن فقال له: «**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن أطاعوا لذلك فأخبرهم أنّ عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**» الحديث[1].

وروى الخمسة وصحّحه ابن حبّان أنه ﷺ أخبره أعرابي برؤية الهلال، فأمر بالصيام[2].ولم يسأله النبّي ﷺ إلا عن الإقرار بالشهادتين. وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النبيّ ﷺ جميع الناس إلى توحيد الألوهية، ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان: هل تعرف توحيد الألوهية. وكذا لم يأمر الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، عباده بتوحيد الألوهية، ولم يقل لهم: مَن لم يعرفه لا يعتدّ بمعرفته لتوحيد الربوبية، بل أمر بكلمة التوحيد مطلقًا ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾ ﴾، ولم يسأل الجارية عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

وأما زعمه أن المشركين يعرفون توحيد الربوبية، أي يعرفون أنّ الربّ هو الخالق الرازق المحيي المميت فهو غير صحيح في مشركي العرب فضلًا عن مشركي غيرهم، فقد أخبر الله عنهم في ءايات كثيرة بأنهم أنكروا البعث، وقالوا: ما يهلكنا إلا الدهر، أي مرور الزمان، واشتهر قولهم (أرحام تدفع وأرض تبلع)، فهل يقول عاقل في هؤلاء مع هذا الكفر: أنهم يعرفون توحيد الربوبية؟ ولو سلّم أنهم يقرّون بتوحيد الربوبية فإنّ مجرّد الإقرار به لايسمّى توحيدًا عند علماء الإسلام، ولو كان الاقرار

---

(١) صحيح البخاري: ٢: ١٣٠ و١٤٧ و١٥٨ وصحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ١: ٥١ وسنن النسائي: ٥: ٢ وبذل المجهود: ٨: ٨٥ وسنن ابن ماجه: ١: ٥٦٨ وسنن الدارمي: ١: ٣٧٩ ومسند الامام أحمد: الطبعة الميمنية: ١: ٢٣٣.

(٢) راجع براءة الأشعريين: ١: ٩٨ – ٩٩.

بالربوبية توحيدًا – كما زعم – لكان تصديق عتاة قريش النبي ﷺ وتكذيبهم بآيات الله تعالى توحيدًا، ولا يقول بهذا عاقل. قال الله تعالى:﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1]، أيقول عاقل إن فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[3] وقال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾[4]، لمّا أجابه موسى عليه الصلاة والسلام عن سؤاله عن حقيقة ربّ العالمين قائلًا: هو ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[5]، و﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[6]: إنه يعرف توحيد الربوبية[7]؟

وفي كتاب مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي ومعه كتاب الغيث المروي:

جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، ما معناهما؟ وما الذي يترتب عليهما؟ وما الفرق بينهما؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه؟

فنقول وبالله التوفيق:

إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية الذي شذّ بذكره.

قال: إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٣.

(٢) سورة النازعات آية ٢٤.

(٣) سورة القصص آية ٣٨.

(٤) سورة الشعراء آية ٢٧.

(٥) سورة الدخان آية ٧.

(٦) سورة الدخان آية ٨.

(٧) مجلة الأزهر – الجزء الرابع – ربيع الأول ١٣٥٢ هـ.

من المشركين والمسلمين، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]، ثم قالوا إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء، ويتشفعون بهم، وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم، قد كفروا بما كفر به عباد الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواءٍ، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها، بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم، المستغيثين بهم، الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

بل قال محمد بن عبد الوهاب: «إن كفرهم أشنع من كفر عبّاد الأوثان، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة».

فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى، فلنعرض لها على سبيل الاختصار، ولنجعل الكلام في مقامين فنتحاكم إلى النقل ثم نتحاكم إلى العقل، فنقول:

قولهم: إنَّ التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية، كما ستعرفه، وما كان رسول الله ﷺ يقول لأحد دخل في الإسلام: إنَّ هناك توحيدين: وإنَّك لا تكون مسلمًا حتى توحد توحيد الألوهية، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة، ولا سمع ذلك عن أحد من السلف هذا التقسيم الذين يتبجح ابن تيمية وأتباعه باتباعهم في كل شيء، ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحقّ هو الرب الحقّ، ولا أحد يستحق العبادة إلا الله.

ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾[2]، فرتب

---

(١) سورة الزمر آية ٣٨.

(٢) سورة مريم آية ٦٥.

العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر، فلا معنى لأن نعبده كما قلنا، ويقول تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا لمن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن يسجدوا لغيره. هذا هو المعقول، ويدل عليه القرءان والسنة.

أما القرءان فقد قال: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾[2]، فصرح بتعدد الأرباب عندهم.

وعلى الرغم من تصريح القرءان بأنهم جعلوا الملائكة والنبيين أربابًا، يقول ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد، وإنما أشركوا في توحيد الألوهية، ويقول سيدنا يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[3]، ويقول الله تعالى أيضًا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي﴾[4]، وأما هم فلم يجعلوه ربًّا. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[5]، خطابًا لمن أنكر ربوبيته تعالى، وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6] أي: في جعلكم أربابًا كما هو ظاهر. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾[7]، فهل ترى صاحب هذا الكلام موحدًا أو معترفًا؟! ثم انظر إلى قوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾[8]...

---

(١) سورة النمل آية ٢٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٠.

(٣) سورة يوسف ٣٩.

(٤) سورة الرعد آية ٣٠.

(٥) سورة الكهف آية ٣٨.

(٦) سورة الشعراء آية ٩٧/ ٩٨.

(٧) سورة الفرقان آية ٦٠.

(٨) سورة الرعد آية ١٣.

إلى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره.

فإذًا ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية كما قال ابن تيمية، وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا إلى توحيد الربوبية، لأنه ليس هناك شيءٌ يُسمى توحيد الربوبية، وشيءٌ ءاخر يُسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام، فهل هم أعرف بالتوحيد منه، أو يجعلونه مخطئًا بالتعبير بالأرباب دون الآلهة؟!

ويقول الله في أخذ الميثاق: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]. فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققًا عند المشركين ولكنه لا ينفعهم كما يقول ابن تيمية ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ولا صح أن يقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية، حيث إن توحيد الربوبية غير كاف – كما يقول هؤلاء... إلى ءاخر ما يمكننا أن نتوسع فيه، وهو لا يخفى عليك، وعلى كل حال فقد اكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ولو لم يكونا متلازمين لطلبَ إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[2]، فإنه إله في الأرض، ولو لم يكن فيها من يعبده كما في ءاخر الزمان.

فإن قالوا: إنه معبود فيها، أي: مستحق للعبادة.

قلنا: إذًا لا فرق بين الإله والرب، فإن المستحق للعبادة هو الرب لا غير، وما كانت محاورة فرعون لموسى عليه السلام إلا في الربوبية، وقد قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[3]، ثم قال:

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف آية ٨٤.

(٣) سورة النازعات آية ٢٤.

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[1]، ولا داعي للإطالة في هذا.

وأما السنة، فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إلهه، لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله، فإنهم ليسوا تيميين ولا متخبطين، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت: من إلهك، لا من ربك، أو يسألوه عن هذا وذاك.

وأما قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابةً لحكم الوقت، ومضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات. ولعلهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم، أو يصل إلى نفوسهم، بدليل أنهم يقرنون ذلك القول بما يدل على كذبهم، وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره، وبدليل أنهم يجعلون لله تمام الجهل، ويقدمون غيره عليه حتى في صغائر الأمور.

وإن شئت فانظر إلى قولهم لهود عليه السلام: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾[3]، فكيف يقول ابن تيمية: إنهم يعتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع؟!

ثم انظر بعد ذلك إلى قولهم في زرعهم وأنعامهم: ﴿ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ﴾[4]، فقدموا شركاءهم على الله تعالى في أصغر الأمور وأحقرها.

وقال تعالى في بيان اعتقادهم في الأصنام: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٩.

(٢) سورة لقمان آية ٢٥.

(٣) سورة هود آية ٥٤.

(٤) سورة الأنعام ١٣٦.

أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا ﴾[1]، فذكر أنهم يعتقدون أنهم شركاء فيهم.

ومن ذلك قول أبي سفيان يوم أحد: أُعْلُ[2] هُبَلْ، فأجابه ﷺ بقوله: «**الله أعلى وأجل**».

فانظر إلى هذا ثم قل لي أين التوحيد الذي ينسبه إليهم ابن تيمية ويقول إنهم فيه مثل المسلمين سواء بسواء، وإنما افترقوا بتوحيد الألوهية؟!

ثم انظر بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى ﴾[3]، أي: وأما هم فلم يجعلوه ربًا، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾[4]، لمن أنكر ربوبيته تعالى، وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]، أي في جعلكم أربابًا كما هو ظاهر لغير المتعسف، وانظر إلى قوله

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٤.

(٢) قال الحافظ المحدث الشيخ عبد الله الهرري الحبشي رحمه الله:
«يقول لكم الوهابي العرب لما كانت عبادتهم لأصنامهم أنهم كانوا يدعونها ويعتقدون أن النافع والضار على الحقيقة هو الله وأورد هذه الآية ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿٢٥﴾ ﴾[سورة لقمان].
يقال لهم: مع هذا كانوا يعتقدون أن أوثانهم تستحق نهاية التذلل لها وهذا معنى العبادة في= = لغة العرب ليس مجرد النداء للجماد أو للميت. قول يا محمد هذا استغاثة معناه يا محمد توجه لي إلى الله في شفائي من شلل الرجل.
أبو سفيان لما قال: أعل يا هبل معناه أنه كان يعتقد أنه ينفع ويضر الصنم. قال ذلك في وقت الشدة، في وقت المعركة. قال أبو سفيان: أعل يا هبل معناه أنت أنجدنا ما قال يا الله اعل هبل. ومعنى قوله للصنم اعل يا هبل أي أنت كن الأعلى. قال الشيخ: المشركون يعتقدون الضر والنفع في الأوثان وأما اية ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴿٣﴾ ﴾ معناه على العموم أما على الخصوص يقولون الأوثان تنفعنا وتضرنا.
قولهم «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» كانوا يقولون الأوثان تشفع لنا» اهـ.

(٣) سورة الرعد آية ٣٠.

(٤) سورة الكهف آية ٣٨.

(٥) سورة الشعراء آية ٩٧/ ٩٨.

تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[1]، فهل ترى هذا كلام موحد أو معترف؟ ثم انظر إلى قوله: ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾[2]... إلى غير ذلك، وهو كثير.

وأدل من ذلك كله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3]... إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

فهل ترى لهم توحيدًا بعد ذلك يصح أن يقال فيه إنه عقيدة؟!

أما التيميون[4] فيقولون بعد هذا كله: إنهم موحدون توحيد الربوبية، وإن الرسل لم يقاتلوهم إلا على توحيد الألوهية الذي لم يكفروا إلا بتركه.

ولا أدري ما معنى هذا الحصر مع أنهم كذَّبوا الأنبياء، وردوا ما أنزل عليهم، واستحلوا المحرمات، وأنكروا البعث واليوم الآخر، وزعموا أن لله صاحبة وولدًا، وأن الملائكة بنات الله، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5]. وذلك كله لم يقاتلهم عليه الرسل في رأي هؤلاء، وإنما قاتلوهم على عدم توحيد الألوهية كما يزعمون، وهم بعد ذلك مثل المسلمين سواء بسواء، أو المسلمون أكفر منهم في رأي ابن عبد الوهاب!

ثم نقول لهم بعد هذا: على فرض أن هناك فرقًا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية -كما يزعمون- فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية، فإنه ليس من العبادة في شيء، لا لغة، ولا شرعًا، ولا عرفًا، ولم يقل أحد: إن النداء أو التوسل بالصالحين

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٠.

(٢) سورة الرعد آية ١٣.

(٣) سورة الأنعام ١٠٨.

(٤) يريد به الوهابية.

(٥) سورة الصافات آية ١٥١-١٥٢.

عبادة، ولا أخبرنا الرسول ﷺ بذلك، ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز التوسل بالحي ولا بالميت.

ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب إلا من الله تعالى بمنزلة هذا النبي أو الولي، ولا شك في أن لهمامنزلة عند الله تعالى في الحياة وبعد الممات.

فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة، قلنا له: حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط في كل شيء، مع أن العالم مبني على الحكمة التي وُضِعت الأسباب والمسببات في كل شيء، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة، وهي معلومة من الدين بالضرورة، فإنها على هذا الرأي لا حاجة إليها، إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة، ويلزم من ذلك تخطئَة عمر بن الخطاب في قوله:؟إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس...

وعلى الجملة: يلزم سدّ الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهو خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناءُ هذه العوالم كلها من أولها إلى ءاخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط، بل هم أشد الناس تعلقًا بها واعتمادًا عليها.

ولا يفوتنا أن نقول: إن التفرقة بين الحي والميت في هذا المقام لا معنى لها، فإن المتوسل لم يطلب شيئًا من الميت أصلًا، وإنما طلب من الله متوسلًا إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له، أم هو حقّ لا مرية فيه، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون؟! كيف وجواز التوسل بل حُسْنُهُ معلوم عند جميع المسلمين؟!

وانظر كتب المذاهب الأربعة –حتى مذهب الحنابلة– في ءاداب زيارته ﷺ تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركوز في الفطر، مخالفًا في ذلك العقل والنقل.

براءة الأشعريين من عقائد المخالفين في توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبيّة

توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية الذي ابتدعه ابن تيمية وزعم أن جميع فرق المسلمين من المتكلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كل شئ وزعم أن هذا اعترف به المشركون، فكفّر به جميع المسلمين وقلَّده فيه محمد بن عبد الوهاب كما قلَّده في غيره، لم يطلع عليه العلماء المعاصرون له والمتأخرون عنه الرَّادون عليه ردًا سديدًا في كثير من شواذه، ولو اطلعوا عليه لرشقوه بسهام علومهم الصائبة. وقد كتب فيه العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان المتوفي سنة أربع وثلاثمائة وألّف في رسالته «الدرر السنيَّة في الرّد على الوهابية» نبذة وكَتَبَ فيه العلامة الشيخ إبراهيم السمنودي المنصوري المتوفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف في كتابه «سعادة الدارين في الرَّد على الفرقتين الوهابية ومقلدة الظاهرية) تأليفًا جيدًا.

بيان خطأ من قال من الملاحدة إنّ تعظيم الكعبة والحجر الأسود من الوثنية

ومن هذا تعلم أنّ تعظيم البيت بالطواف حوله، وتعظيم الحجر الأسود باستلامه وتقبيله والسجود عليه ليس عبادة شرعًا للبيت ولا الحجر وإنما هو عبادة للآمر بذلك عزّ وجلّ الذي اعتقد الطائف ربوبيته سبحانه، فليس كل تعظيم للشيء عبادة له شرعًا حتى يكون شركًا، بل منه ما يكون واجبًا أو مندوبًا إذا كان مأمورًا به أو مرغبًا فيه، ومنه ما يكون مكروهًا أو محرمًا، ومنه ما يكون مباحًا، ولا يكون التعظيم لشيء شركًا حتى يقارنه اعتقاد ربوبية ذلك الشيء أو خصيصة من خصائصها له، فكل من عظم شيئًا فلا يعتبر في الشرع عابدًا له إلا إذا اعتقد فيه ذلك الاعتقاد.

وقد استقر في عقول بني ءادم ما داموا على سلامة الفطرة أن من ثبتت له الربوبية فهو للعبادة مُستحق، ومن انتفت عنه الربوبية فهو غير مُستحق للعبادة، فثبوت الربوبية واستحقاق العبادة متلازمان فيما شرع الله في شرائعه وفيما وضع في عقول الناس، وعلى أساس اعتقاد الشركة في الربوبية بنى المشركون استحقاق العبادة لمن اعتقدوهم أربابًا من دون الله تعالى سبحانه، ومتى انهدم هذا الأساس من نفوسهم تبعه ما بني عليه من استحقاق غيره للعبادة، ولا يسلم المشرك بانفراد الله تعالى باستحقاق العبادة حتى يسلم بانفراده عز وجل بالربوبية، وما دام في نفسه اعتقاد الربوبية لغيره عزّ وجلّ استتبع ذلك اعتقاده في هذا الغير الاستحقاق للعبادة، ولذلك كان من الواضح عند أولي الألباب أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد، فمن اعترف بأنه لا رب إلا الله كان معترفًا بأنه لا يستحق العبادة غيره، ومن أقر بأنه لا يستحق العبادة غيره كان مذعنًا بأنه لا رب سواه، وهذا الثاني هو معنى (لا إله إلا الله) في قلوب جميع المسلمين.

ولذلك نرى القرءان في كثير من المواضع يكتفي بأحدهما عن الآخر، ويرتب اللوازم المستحيلة على انتفاء أي واحد منهما، ليستدل بانتفائها على ثبوته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2] حيث عبر بالإله ولم يعبر بالرب.

وكذلك في الميثاق الأول قال سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[3] ولم يقل بإلهكم، واستفاض عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أن الملكين يقولان للميت في قبره (من ربك)؟ ويكتفيان بالسؤال عن توحيد الربوبية ويكون جوابه بقوله: (الله ربي) كافيًا، ولا يقولان له إنما اعترفت بتوحيد الربوبية وليس توحيد الربوبية كافيًا في الإيمان.

وهذا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول لذلك الجبار: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[4]، فيجادله بأنه كذلك يحيي ويميت إلى أن حاجه خليل الله بما يكذب دعوى ربوبيته فتندحض دعوى استحقاقه للعبادة. وفيما حكى الله عن فرعون أنه قال مرة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[5]، ومرة أخرى: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[6].

وبالجملة فقد أومأ القرءان العظيم والسنة المستفيضة إلى أن تلازم توحيد الربوبية والألوهية مما قرره رب العالمين، واكتفى سبحانه من عبده بأحدهما عن صاحبه

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ٩١.

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٥) سورة القصص آية ٣٨.

(٦) سورة النازعات آية ٢٤.

لوجود هذا التلازم، وارتضاه الملائكة المقربون، وفهم الناس هذا التلازم حتى الفراعنة الكافرون، فما هذا الذي يفتريه أولئك المبتدعة الخراصون[1]، فيرمون المسلمين بأنهم قائلون بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة وأنه لا يكفيهم ذلك في إخراجهم من الكفر وإدخالهم في الإسلام حتى تحقن دماؤهم؟ بل يستبيحون ذبح المسلم المسالم لهم وهو يقول: «لا إله إلا الله» ويقولون فيه إنه ما اعترف بتوحيد الألوهية، وإنما يعني توحيد الربوبية وهو غير كاف، فلا يقبلون ما دل عليه صريح كلامه، ويرفضون الاكتفاء بما اكتفى به الله من عبده يوم الميثاق الأول، وارتضته ملائكته حين يُسأل العبد في قبره من الاعتراف بتوحيد الربوبية، حيث كان مستلزمًا لتوحيد الألوهية، وكان التصريح بما يفيد أحدُهما تصريحًا بما يدل على الآخر، فالناطق بلا إله إلا الله معترف بالتوحيد لله في ألوهيته وربوبيته جميعًا، والقائل ربي الله معترف بكلا التوحيدين جميعًا.

والآن ألفت نظرك أيها المحقق إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[2] الآية وهي في موضعين من كتاب الله تعالى ولم يقل إلهنا، وقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن وصية جامعة: «**قل ربي الله ثم استقم**»، ولم يقل إلهي بكفاية توحيد الربوبية في النجاة والفوز لاستلزامه توحيد الألوهية بشهادة الله ورسوله. وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3]، وقول رسول الله ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله لا الله**[4]».

وإلى قوله ﷺ لأسامة بن زيد حين قتل من قال لا إله إلا الله إذ أهوى إليه بالسيف ظنه قالها تعوذًا، والقرائن قوية على هذا الظن كما يُعلم من تفصيل القصة، «**يا**

---

(١) الخرّاص الكذاب وتخرص أيضًا كذب. انظر مختار الصحاح (١/ ١٩٦).

(٢) سورة فصلت آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية ١٦٣.

(٤) رواه الشيخان.

أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا[1]؟» ولم يعتذر أسامة بأنه إنما عنى توحيد الربوبية، وهو غير كاف في الدخول في الإسلام وحقن الدم به ولم يعنِ توحيد العبادة، ففي ذلك كله وغيره مما لم نذكره أبين البيان. لأن القول بأحد التوحيدين قول بالآخر، وإنما جرّ هذا المبتدع ومن انخدع بأباطيله هذه إنه لم يحقق معنى العبادة شرعًا كما يدل عليه استقراء موارد هذه اللفظة في كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، فظن أن التوسل برسول الله ﷺ وسائر الصالحين والاستغاثة بهم مع استقرار القلب على أنهم أسباب لا استقلال لهم بنفع ولا ضر وليس لهم من الربوبية شئ ولكن الله جعلهم مفاتيح لخيره ومنابع لبره وسُحُبًا يمطر منها على عباده أنواع خيره، ظن أن ذلك من الشرك المخرج عن الملة.

ومن رافقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقينًا لا تخالطه ريبة أن مسمى العبادة شرعًا لا يدخل فيه شي مما عده من توسل واستغاثة وغيرهما، بل لايشتبه بالعبادة أصلًا فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها. ألا ترى الجندي يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات احترامًا له وتأدبًا معه فلا يكون هذا القيام عبادة للرئيس شرعًا ولا لغةً، ويقوم المصلي بين يدي ربه في صلاة بضع دقائق أو بعضها قدر ما يقرأ الفاتحة فيكون هذا القيام عبادة شرعًا، وسرُّ ذلك أن هذا القيام وإن قلت مسافته[2] مقترن باعتقاد القائم ربوبية من قام له، ولا يقارن ذاك القيام هذا الاعتقاد اهـ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه.

(٢) أي مدته.

نص كلام ابن تيمية
في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية
في كتبه في أربعة مواضع

هذا ذِكرُ كلام لابن تيمية في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية مفرق في أربعة مواضع من كتبه أذكره كله ليراه القراء ثم أبطله:

(١) – قال في الجزء الأول من فتاوايه ص ٢١٩ في تفسير قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) والمعنى أن صاحب الجد لا ينفعه منك جده، أي لا ينجيه ويخلصه منك جده وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح، والجد هو الغنى وهو العظمة وهو المال، (إلى أن قال) فبين في هذا الحديث أصلين عظيمين أحدهما توحيد الربوبية وهو أن لا معطي لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل إلا عليه ولا يُسأل إلا هو. والثاني توحيد الإلهية وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع وأنه ليس كل من أُعطِيَ مالًا أو دنيا أو رئاسةً كان ذلك نافعًا له عند الله منجيًا من عذابه، فإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب (إلى أن قال): وتوحيد الإلهية أن يعبد الله ولا يشرك به شيئًا فيطيعه ويطيع رسله ويفعل ما يحبه ويرضاه، وأما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره وقضاه، وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه وأرضاه، والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الإلهية ويستغفر الله على ذلك وهو توحيد له فيقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اهـ.

(٢)– وقال في الجزء الثاني من فتاوايه ص ٢٧٥: فإن المقصود هنا بيانُ حال العبد المحض لله تعالى الذي يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه، ويحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وإن كانت

الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الإلهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص بمعناه عند الاقتران كما في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، فجمع بين الاسمين فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد، والرب هو الذي يرب عبده إهـ.

(٣)- وقال في الجزء الثاني من كتابه «منهاج السنة»[١] بعد ثرثرة ذم فيها جميع فرق المسلمين من المتكلمين مصرحًا بأنهم عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية وإثبات حقائق أسماء الله، ما نصه: فإنهم قصروا عن معرفة الأدلة العقلية التي ذكرها الله في كتابه فعدلوا عنها إلى طرق أخرى مبتدعة فيها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحقّ المشترك بينهم وبين غيرهم، ودخلوا في بعض الباطل المبدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الإلهية، وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الاقرار بأن الله خالق كل شيء وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، الآيات.

وقال عنهم: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٣]، فالطائفة من السلف تقول لهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره، وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا فيكون الدين كله لله إهـ.

---

(١) منهاج السنة (ص٦٢).

(٢) سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٤)- وقال في رسالته لأهل الصفة ص٣٤: توحيد الربوبية وحده لا ينفي الكفر ولا يكفي إهـ.

أقول: قد لَبَّسَ ابن تيمية في تآليفه على العامة وأشباههم من المتفقهة كثيرًا بالسلف الصالح والكتاب والسنة لترويج هواه في سوقهم ولكنه في هذا الكلام صرح بهواه ولم يلصقه بهما ولا بالسلف وإني بحول الله وتوفيقه أكيل له بصاعه الذي لبس به على البسطاء كيلًا حقيقيًا وافيًا، مبرهنًا فأقول كلامه هذا في الأربعة المواضع باطل بعدة وجوه هي:

١ـ لم يقل الإمام أحمد بن حنبل الذي انتسب إليه كذبًا لأصحابه: إن التوحيد قسمان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإن من لم يعرف توحيد الألوهية لا تعتبر معرفته بتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون، وهذه عقيدة الإمام أحمد مدونة في مصنفات أتباعه في مناقبه لابن الجوزي وفي غيره ليس فيه هذا الهذيان.

٢ـ لم يقل أي واحد من أتباع التابعين لأصحابه إن التوحيد قسمان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون.

٣ـ لم يقل أي واحد من التابعين لأصحابه إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فلو اجتمع معه الثقلان على إثباته عن أي واحد منهم لا يستطيعون.

٤ـ لم يقل أي صحابي من أصحاب النبيّ ﷺ إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية لأن هذا يعرفه المشركون، وإني أتحدى كل من يدعي أن له إلمام بالعلم أن ينقل لنا هذا التقسيم المخترع عنهم ولو برواية واهية.

٥ـ لم يأت في سنة النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم الواسعة التي هي بيان لكتاب الله عز وجل من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم، أن النبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لأصحابه ويعلمهم أن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية، لأن هذا يعرفه المشركون، فلو اجتمع الثقلان على إثبات هذا الهذيان عن النبيّ ﷺ بإسناد لا يستطيعون.

٦ـ كتب السنة طافحة بأن دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم الناس إلى الله كانت إلى شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبيّ ﷺ إلى اليمن فقال له:

«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة» الحديث، وروى الخمسة وصححه ابن حبان أنه ﷺ أخبره أعرابي برؤية الهلال، فأمر بالصيام ولم يسأله النبيّ ﷺ إلا عن الاقرار بالشهادتين، وكان اللازم على هذيانه هذا أن يدعو النبيّ ﷺ جميع الناس إلى توحيد الألوهية الذي جهلوه وأما توحيد الربوبية فقد عرفوه ويقول لمعاذ ادعهم إلى توحيد الألوهية، ويقول للأعرابي الذي رأى هلال رمضان هل تعرف توحيد الألوهية؟.

٧ـ لم يأمر الله تعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عباده بالجمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، بل أمر:بكلمة التوحيد مطلقة، قال الله تبارك وتعالى مخاطبًا نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] وهكذا جميع ءايات التوحيد المذكورة في القرءان مع سورة الإخلاص.

---

(١) سورة محمد آية ١٩.

٨ـ يلزم على هذا الهذيان على زعمهم أن يبين الله تبارك وتعالى لعباده توحيد الألوهية ولا يضلهم ولا يعذبهم على جهلهم نصف التوحيد حيث عرفوا كلهم توحيد الربوبية ولم يعرفوا توحيد الألوهية ولا يقول لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان.

٩ـ الإله هو الربّ والربّ هو الإله فهما متلازمان يقع كل منهما في موضع الآخر، وكتاب الله تعالى طافح بذلك، وكذلك سنته عليه الصلاة والسلام. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2]، وكان اللازم على زعمه حيث كانوا يعرفون توحيد الربوبية ولا يعرفون توحيد الألوهية أن يقول الله: اعبُدوا إلهكم، وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾[3] – الآية، كان اللازم على زعمه حيث كان النمرود يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية أن يقول الله تعالى: «**ألَمْ تَرَ إلى الذي حَاجَّ إبراهيمَ في إلهه**» وكان اللازم على زعمه أن يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[4] اتقوا إلهكم.

وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[5]، هل يستطيع إلهك، وكان اللازم على زعمه أن يقول الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٤) سورة النساء آية ١.

(٥) سورة المائدة آية ١١٢.

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[1] ثم الذين كفروا بإلههم يعدلون بأن الرب يعرفونه، وهو شيء كثير في القرءان.

١٠ـ حمله قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]، الوارد في المشركين على المسلمين فاسد، ودعواه أن المشركين، مع إنكارهم البعث واتخاذهم الأنداد والولد له تعالى يعرفون توحيد الربوبية أثبتها، تقدم إبطالها، ومعنى الآية عند المفسرين ليسندنَّ خلقها في الحقيقة ونفس الأمر أي الفطرة التي فطر الله الناس عليها إلى الله تعالى، فلو استظهر بالثقلين على إثبات أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن ذلك فأجابوه بالقول لا يستطيعون.

١١ـ حمله قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] الوارد أيضًا في المشركين على المسلمين فاسد أيضًا، لأنهم لو كانوا يعرفون توحيد الربوبية، كما زعم ما أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم عن الأرض ومن فيها لمن هي وعن رب السموات السبع ورب العرش العظيم وعمن بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه، ولكان الأمر بسؤالهم عن هذه الأشياء مع معرفتهم خالقها عبثًا وهو محال منه تعالى ولو كانوا يعرفون توحيد الربوبية كما زعم ما كفروا به عزّ وجل وما أنكروا البعث وما اتخذوا له أندادًا عبدوهم من دونه، ولو كانوا يعرفون توحيد الربوبية ما قال تعالى عنهم: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[4]، أي فيما قالوا من إنكار البعث وفيما قالوا وفعلوا من الشرك باتخاذ الأنداد من دونه وغير هذا من أنواع الكفر، وإنما أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بتوقيفهم على هذه الأشياء التي لا يمكنهم في الفطرة والعقل

---

(١) سورة الأنعام آية ١.

(٢) سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) سورة المؤمنون آية ٨٧.

(٤) سورة المؤمنون آية ٩٠.

السليم إنكارها، وإن أنكروها في الواقع تبكيتًا وإقامة للحجة عليهم، ولا يمكنه أن يثبت عن النبيّ ﷺ أنه سألهم عن هذه الأشياء وأجابوه قولًا، ولو استظهر بجميع أهل الارض.

يقول ابن تيمية: إن الذين يتوسلون بالأنبياء والأولياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء، فإنهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية في تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، بل قال محمد بن عبد الوهاب:(إن كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان)، فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى.

تكميل[1]

لقد أرسل الله تعالى سيدنا محمدًا صلى الله عليه وءاله وسلم بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وحث عليها ووعد قائلها ومعتقدها بالجنة، وقد وردت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة، منها قول الله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]، ومنها قوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[3]، وقال النبي صلى الله عليه وءاله سلم: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته[4] ألقاها إلى مريم وروح منه[5]، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل[6]**».

وقال صلى الله عليه وءاله وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله[7]**».

فمن هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يتضح وضوحًا جليًا أن الله سبحانه

---

(١) يُستفاد كثيرًا من مباحث الرد على تقسيم التوحيد الذي أحدثه ابن تيمية من كتاب «براءة الأشعريين من عقائد المخالفين» للعلامة محمد العربي التباني رحمه الله تعالى، والذي وضع اسمه على غلاف الكتاب باسم أبي حامد بن مرزوق لظروف خاصة، ولم يمنعه ذلك من الإدلاء بقول الحق وبيان ما يعتقده إنقاذًا للمسلمين من ضلال عقائد المشبهة والمجسمة.

(٢) سورة محمد آية ١٩.

(٣) سورة الفتح آية ١٣.

(٤) معنى «**وكلمته ألقاها إلى مريم**» أي: بشارته أرسلها بواسطة المـَلَك إلى السيدة مريم.

(٥) معنى «**وروح منه**» أي: منه خلقًا وتكوينًا، لا جزءً كما تعتقد النصارى.

(٦) رواه البخاري (٦/ ٤٧٤ فتح/ ٣٤٣٥) ومسلم (١/ ٧ برقم ٢٨).

(٧) رواه البخاري (١/ ٧٥ فتح/ ٢٥) ومسلم (١/ ٥٣ برقم ٢١).

بيّن لنا أن التوحيد هو اعتقاد معنى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولم يذكر الله تعالى في كتابه، ولا النبي صلى الله عليه وءاله وسلم في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحد من الصحابة، بل ولا أحد من التابعين، بل ولا أحد من السلف الصالح.

بل إن هذا التقسيم بدعة خلفية مذمومة حدثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي ﷺ بنحو ثمانمائة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحد من قبل، والهدف من هذا التقسيم عند من قال به هو تشبيه المؤمنين الذين لا يسيرون على منهج أدعياء السلفية بالكفار، بل تكفيرهم بدعوى أنهم وحدوا توحيد ربوبية كسائر الكفار بزعمهم ولم يوحدوا توحيد ألوهية –وهو توحيد العبادة الذي يدعونه– وبذلك كفروا المتوسلين بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو بالاولياء وكفروا أيضًا كثيرا ممن يخالفهم في أمور كثيرة يرون الصواب والحق على خلافها، وكل ذلك سببه ذلك الحراني، وعلى ذلك سار شارح الطحاوية ابن أبي العز الملقب بالحنفي فخالف الإمام الطحاوي الحنفي في عقيدته في مواضع عدة! منها أن صاحب المتن الإمام الطحاوي ينفي الحد عن الله سبحانه والشارح يرد عليه فيثبت الحد! ومنها أن صاحب المتن ينفي الجهة وينزه الله سبحانه أن يوصف بها والشارح يرد فيثبتها! حتى قال العلامة علي القاري الحنفي عن شارحها ابن أبي العز في «شرح الفقه الأكبر»[1] بأنه صاحب مذهب باطل، تابع لطائفة من المبتدعة.

ولا بد أن نبطل هذا التقسيم للتوحيد في هذه المقدمة الصغيرة المتواضعة باختصار تلخيصًا للبحث الذي تحويه هذه الرسالة التي سنسلك فيها طريقة خير الكلام ما قل ودل، فنقول وبالله التوفيق:

---

(١) شرح الفقه الأكبر (ص١٧٢).

(أولًا): لا يعرف في الشرع إطلاق اسم موحد على من كفر وذلك بنص الكتاب والسنة، بل لا يجوز أن نقول في الشرع ما لم يقل وما لم يرد، فلا يحل أن نطلق على من كان يقر بوجود الله ويدرك أنه هو الإله الحقّ المستحق للعبادة دون أن يذعن ويدخل في هذا الدين بأنه موحد، بل نطلق عليه أنه كافر، بدليل قول الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1].

فقد وصفهم الله تعالى بالكذب وبالكفر، بل وصفهم بصيغة مبالغة وهي: (كفار) كما تقول ضارب وضراب.

فكيف يقال إنهم موحدون توحيد ربوبية والله تعالى وصفهم بالكفر صراحة؟!!

(ثانيًا): هؤلاء الكفار الذين كانوا يقولون فيما وصفهم الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2]، والذين كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[3]، ما كانوا يقرون بتوحيد ربوبية لو سلمنا جدلًا بقسم توحيد الربوبية وما كانوا يقرون بوجود الله تعالى، ولذلك أدلة سأوردها الآن إن شاء الله تعالى، وإنما قالوا ذلك عند محاججة النبي ومجادلته إياهم وإفحامه لهم بالأدلة التي تثبت وجود الله تعالى وتبطل ألوهية ما يعبدون من دون الله سبحانه.

فالله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وءاله وسلم أن يجادلهم ويناقشهم في عقيدتهم وباقي أمورهم الفاسدة ليثبت لهم الحق قائلًا له: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4]، فلما كان ﷺ يثبت لهم وجود الله وأن لا إله إلا هو سبحانه ويلزمهم

---

(١) سورة الزمر آية ٣.

(٢) سورة الزمر آية ٣٨.

(٣) سورة الزمر آية ٣.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥.

بترك عبادة هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها ويسجدون لها من دون الله، كانوا يتحرجون ولا يعرفوا بماذا سيجيبون عند سؤال النبي ﷺ لهم: من خلق السموات والأرض؟: الله. وكانوا يتحججون قائلين (ما نعبدهم) أي هذه الأوثان (إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

وهذا كذب صريح منهم لأنهم ما كانوا يعتقدون بوجود الله الذي خلق السموات والأرض ألبتة بدليل أن الله أمرهم في القرءان الكريم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض ليعرفوا أن لها إلهًا خلقها فيؤمنوا به، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

فكانوا يردون ما جاء في صدر هذه الآيات الشريفة قائلين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[3] ولو كانوا مقرين أن الله سبحانه هو خالق السموات والأرض وما فيهن، لما ذكر الله لهم تلك الآيات الآمرة بالتفكر في الإبل كيف خلقت وفي الجبال كيف نصبت وفي الأرض كيف سطحت وفي السماء كيف رفعت.

فقولهم عند سؤال النبي لهم وقت إلزامهم الحجة في المناظرة: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله. وقولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ما هو إلا كذب وكفر بنص القرءان الكريم، حيث قال الله تعالى في ءاخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) سورة الغاشية آية ١٧ـ ٢٢.

(٢) سورة البقرة ١٦٣ـ١٦٤.

(٣) سورة ص آية ٥.

يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1]»، كما قال سبحانه: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾[2].

فلا يحل ولا يجوز لإنسان أن يستنبط بعد هذا البيان من الآيتين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ و﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ أنهم كانوا موحدين توحيدًا يسمى توحيد ربوبية، بل هذا استنباط معارض لنص القرءان الذي حكم عليهم بالكفر بل المبالغة بالكفر، ومنه يتبين أنه استنباط سطحي سخيف لا يقول به إلا من لم يتعمق في فهم ءايات القرءان الكريم وسنة النبي ﷺ وقواعد علم التوحيد المبنية على الكتاب والسنة الصحيحة.

(ثالثًا): أن أولئك الكفار اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون تلك الأصنام ويحجون لها ويتقربون إليها ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾[3]، ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[4].

بل واشتهر عنهم أنهم كانوا يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر. قال الله تعالى مخبرًا لنا عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[5][6].

بل قال أُبي بن خلف للنبي صلى الله عليه وءاله وسلم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ

---

(١) سورة الزمر آية ٣.

(٢) سورة التوبة ٨.

(٣) سورة يس آية ٧٤.

(٤) سورة النجم ١٩/ ٢٠.

(٥) سورة الجاثية آية ٢٤.

(٦) والحق والواقع أن من ثلث التوحيد وقسمه إلى ثلاث أقسام أبطل – سواء قصد أم لا – وألغى مثل هذه الآيات الثابتة كالجبال في كتاب الله تعالى زيادة على قصده الباطل من هذا التقسيم الذي فيه عدّة مخالفات ومحظورات شرعية --!! فالله تعالى المستعان!!

رَمِيمٌ ﴾[1].

فهل يجوز لنا بعد هذا أن نصف من لا يقر بأن الله خالق ومحيي بأنه موحد توحيد ربوبية والله تعالى يقول عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾[2]؟!

بل بلغ من كفرهم ما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز إذ قال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ﴾[3]، فهل هؤلاء يقولون بوجود الرحمن الرحيم؟!

ولو كانوا يقرون أن الله هو الخالق لما قال الله لهم: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾[4]، وعبر بالإله أيضًا ولم يعبر بالرب إشارة إلى أنهم لا يوحدون لا الرب ولا الإله ولأن الرب هو الإله، والإله هو الرب.

(رابعًا): ابن تيمية الذي ابتدع تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية يقول إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية دون الألوهية وأن المسلمين الذين يخالفونه في ءارائه كذلك وحدوا ربوبية ولم يوحدوا ألوهية، فهو يكفرهم بذلك، وهذا مراده من هذا التقسيم.

قال في منهاجه المسمى «منهاج السنة النبوية»[5] بعد أن دمج وخلط بعض أئمة الإسلام كالسهروردي[6] وأبي حامد الرازي والآمدي وغيرهم بمن يخالفهم في

---

(١) سورة يس آية ٧٨.

(٢) سورة الزمر آية ٣.

(٣) سورة الفرقان آية ٦٠.

(٤) سورة المؤمنون آية ٩١.

(٥) منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٢).

(٦) علمًا بأن السهروردي من علماء أهل السنة والجماعة، وعنه ينقل أكابر الائمة وعلماء الإسلام العقيدة، فالإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ينقل عنه في (الفتح)(١٣/ ٣٩٠) مذهب السلف الصالح في الصفات ويقول عقب ذلك: قال الطيبي: هذا هو االمذهب المعتمد وبه يقول=

ءارائهم من الفلاسفة كأرسطوطاليس والفارابي وابن سينا ما نصه:

(دخلوا في بعض الباطل المبدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وهذا التوحيد كان يقر به المشركون الذين قال الله عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

وهذه مغالطة وتلبيس، وهو كلام غلط كما بيّنا.

وهل يقبل عاقل أو يقول إنسان بأن فرعون الذي كان من جملة المشركين كان يوحد ربوبية ولا يوحد ألوهية؟!.

وهو الذي يقول: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾[1]، كما أنه هو القائل: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[2].

ولو كان يقر بالربوبية لما قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، بل لقال **أنا إلهكم الأعلى**.

ولو تذكر ابن تيمية قول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[3]، وقول سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[4]، وقول سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾[5]، مع قول الله عز وجل: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾[6]، وقول الكفار

= السلف الصالح اهـ.

(١) سورة القصص آية ٣٨.

(٢) سورة النازعات آية ٢٤.

(٣) سورة الأعراف آية ٧٦.

(٤) سورة يوسف آية ٣٩.

(٥) سورة الصافات ٨٦.

(٦) سورة يس ٧٤.

جميعًا حين دعاهم الرسول صلى الله عليه وءاله وسلم إلى كلمة التوحيد ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[1]، لاستحى أن يتفوه بذلك!

ومن هذا الإيضاح والبيان يتبيّن بطلان تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام، بل يتضح أن هذا التقسيم يعارض القرءان وعقيدة الإسلام، فلا يصح أن يقال: هذا تقسيم تعليمي، بل يجب رد هذا التقسيم المغلوط لأنه معارض للقرءان الكريم.

ويجب أن يعلم أن بعض الشروحات ومنها شرح ابن أبي العز الحنفي المجسم تلميذ ابن قيم الجوزية على الطحاوية يحوي هذا الخطأ وهذه الأغلاط المتناقضة! وأن التعويل على مثل هذا الكتاب واعتماد تدريسه ما هو إلا خطأ جسيم لم يتنبه له كثير من المدرسين والطلاب فاحذروه واتقوه[2].

(تنبيه): اعلم أن متن الطحاوية وهو الكتاب الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى، كتاب صحيح مستقيم من أحسن كتب العقيدة التي تمثل اعتقاد السلف الصالح! ولأنه أيضًا – أعني الطحاوي – ذكر في مقدمة ذلك الكتاب أنه عقيدة الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وصاحبيه محمد بن الحسن والقاضي أبي يوسف رحمهما الله تعالى.

وأما المنتشر في الأسواق لابن أبي العز ففيه أمور كثيرة مخالفة للكتاب الأصلي متن الطحاوية، وفيه أيضًا عقائد فاسدة كإثبات قدم العالم بالنوع وتسلسل الحوادث إلى غير أول[3]، وإثبات الحد لذات الله تعالى[4]. وإثبات الحرف والصوت لكلامه

---

(١) سورة ص آية ٥.

(٢) راجع كتاب البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي العز التالف للمؤلف فإنه كشف حقيقة هذا المجسم وزيفه وتضليله وتحريفه وكتابنا هذا كافٍ شافٍ في موضوعه وإنه جمع فأوعى، فاحرص على تحصيله ومطالعته ونشره فإنه لم يُؤلف مثله في الرد على ابن أبي العز المجسم.

(٣) وذلك صفحة (١٢٩) من الطبعة الثامنة / المكتب الإسلامي.

(٤) انظر صفحة (٢١٩) من شرح الطحاوية لابن أبي العز، وقد رددنا هذا وأبطلناه في=

سبحانه[1] وقيام الحوادث بذات الله سبحانه[2] إلى غير ذلك من أخطاء جسيمة، وأغلاط أليمة، فتنبهوا.

= رسالتنا (التنبيه والرد على معتقد قدم العالم والحد) فارجع اليها.

(١) انظر صفحة (١٦٩) من شرح الطحاوية.

(٢) انظر صفحة (١٧٧) من شرح الطحاوية.

فصل
القسم الثالث من التوحيد وهو ما سموه بتوحيد الأسماء والصفات

قد أشار إليه وذكره ابن تيمية في منهاجه (٢/ ٦٢) باسم (إثبات حقائق أسماء الله وصفاته) والمراد من هذا القسم إثبات التشبيه والتجسيم وبيان أنه غير مذموم، فإنني سأنقل لك ذلك من كتب ابن تيمية مثبتًا رقم المجلد والصحيفة.

قال ابن تيمية في كتابه «التأسيس»[١]:

(وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجسامًا وأعراضًا؟! فنفي المعاني الثابتة بالشرع والعقل بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل، جهل وضلال) انتهى.

وابن تيمية يقول كما هو ثابت عنه في كتبه وكما هو مشهور: (لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه)!!

فنقول له: إذا كنت لا تصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه فلماذا تثبت استقرار الله تعالى عما تقول على ظهر بعوضة وتجوزه؟! هل هذا توحيد الأسماء والصفات أيها الحراني؟! وهل هذا مما وصف الله به نفسه؟!

قال ابن تيمية في كتابه «التأسيس في رد أساس التقديس»[٢]: (ولو قد شاء الله لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به قدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم) انتهى.

---

(١) التأسيس (١/ ١٠١).

(٢) التأسيس في رد أساس التقديس (١/ ٥٦٨).

فهل من التوحيد الخالص أيها الحراني ويا من تتعصبون لآرائه الشاذة أن تجوزوا استقرار رب العالمين سبحانه وتعالى عما تصفون على ظهر ذبابة أو بعوضة؟! ولقد استحى عُبّاد الأوثان والمشركون أن يصفوا ءالهتهم بذلك!!

وهل من توحيد الأسماء والصفات إثبات الحركة لله تعالى كما يقول ابن تيمية في كتابه «موافقة صريح المعقول»[1] على هامش منهاج سنته وقد نسب ذلك لأهل الحديث والسلف زُورًا؟!!

وأين وصف الله تعالى نفسه في كتابه بلفظ الحركة؟!

وابن تيمية يقول في كتابه «التأسيس»[2].

(وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم وأن صفاته ليست أجسامًا وأعراضًا) انتهى.

ونقول له: بل في كتاب الله وسنة رسول الله وفي كلام السلف نفي لذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[4]، وهذا نص صريح في القرءان في تنزيه الله عن الجسمية والتركيب لأن الجسم له مكافئ ومماثل، ولا يصح أن يقال فيه ولم يكن له كفوًا أحد.

وأما السنة: فقد روى الإمام الحاكم في المستدرك[5] والترمذي[6] عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن المشركين قالوا عنه: إن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك،

---

(١) موافقة صريح المعقول (٢/ ٤).

(٢) التأسيس (١/ ١٠١).

(٣) سورة الشورى آية ١١.

(٤) سورة الإخلاص آية ٤.

(٥) (٢/ ٥٤٠).

(٦) (٣٣٦٤).

فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال: الصمد الذي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث،﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قال:لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، وسكت عليه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[1].

وسيأتي بعد صحيفة إن شاء الله تعالى عن الإمام أبي حنيفة ذم التشبيه، وذكر الحافظ البيهقي في كتابه مناقب الإمام أحمد الذي هو من أئمة السلف ورؤساء المحدثين رضي الله عنه ما نصه:

(أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله سبحانه خارج عن ذلك كله، فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل). انتهى بحروفه.

وهذا الكلام من الإمام أحمد ينسف كلام ابن تيمية نسفًا، وابن القيم تلميذ ابن تيمية يثبت في كتاب «بدائع الفوائد»[2] أن الله يجلس على العرش، ويجلس بجنبه سيدنا محمد ﷺ وهذا على زعمه هو المقام المحمود[3]!.

ويثبت في كتابه «الصواعق المرسلة» أن لله ساقين، وأنه إذا لم يذكر الله في كتابه إلا ساقًا واحدة فهذا لا ينفي أنه ليس له ساق أخرى فيقول ما نصه:

(هب أنه سبحانه أخبر أنه يكشف عن ساق واحدة هي صفة، فأين في ظاهر

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٥٦).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ٣٩).

(٣) مع أنه ثبت في الصحيحين تفسير المقام المحمود بالشفاعة.

القرءان أنه ليس له سبحانه إلا تلك الصفة الواحدة؟[1] وأنت لو سمعت قائلًا يقول: كشفت عن عيني وأبديت عن ركبتي وعن ساقي هل يفهم منه أنه ليس له إلا ذلك الواحد فقط؟) اهـ.

فانظر إلى هذا التجسيم الصريح وإلى هذا الهراء والهذيان من «مختصر الصواعق المرسلة»[2] وانظر كتاب «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»[3] وابن القيم متعصب لذلك وسائر على قاعدة شيخه الحراني التي أسسها في كتابه «التأسيس»[4] حيث قال هناك:

(وإذا كان كذلك فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين) اهـ.

قلت: ليس كذلك! وأبسط مثال لهدم هذا الكلام غير ما تقدم قبل قليل أن الحافظ الذهبي ذكر في «سير أعلام النبلاء»[5] نقلاً عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال:

(أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه).

وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره في تفسير سورة الإخلاص عن أبي العالية وغيره من السلف أن الله تعالى ليس له شبيه ولا مثيل.

وقد أثبت ابن القيم أيضًا جنبًا لله -تعالى عما يقول- واستنبط ذلك من قوله

---

(١) أعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان!!!

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص٣١-٣٢، طبع مكتبة الرياض الحديثية).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (لابن قيم، ١/ ٢٤٥طبع دار العاصمة الرياض).

(٤) التأسيس (١/ ١٠٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠٢).

تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1]، ففي «الصواعق المرسلة»[2] و«مختصر الصواعق»[3] للموصلي ما نصه:

(هب أن القرءان دل على إثبات جنب هو صفة، فمن أين لك ظاهره أو باطنه على أنه جنب واحد وشق واحد؟ ومعلوم أن إطلاق مثل هذا لا يدل على أنه شق واحد، كما قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلى جنبٍ، وهذا لا يدل على أنه ليس للمرء إلا جنب واحد)!!

قلت:وهل يصح قياس الله سبحانه وتعالى بعمران بن حصين وتشبيهه به؟! وهل يجوز أن يقول أحد من الموحدين بأن لله جنبًا؟!

والله ما الإتيان بمثل هذا الكلام في الصفات إلا رجوع للوثنية الأولى: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

وإمام ابن تيمية وقدوته في هذه الطامات هو أبو يعلى الحنبلي[5] الذي كان يقول: (ألزموني ما شئتم إلا اللحية والعورة) أي صفات الله تعالى!! كما نقل ذلك ابن العربي المالكي في كتابه «العواصم»[6] وهل هذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي يريدونه والذي يحاولون إثباته وقد أثبتوا هذا التقسيم ليقولوا للناس إن هذه الصفات التي أثبتناها من أنكر منها شيئًا فتوحيده ناقص وغير صحيح، ويلزم من ذلك أن يكون كافرًا، ليهاب الناس من إنكار هذه الصفات التي ابتدعوها وأطلقوها

---

(١) سورة الزمر آية ٥٦.

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٠).

(٣) مختصر الصواعق (١/ ٣٣).

(٤) سورة الصافات آية ١٨٠.

(٥) وقد رد على أبي يعلى هذا الحافظ ابن الجوزي في كتابه المشهور(دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) وقد حققناه وعلقناه عليه وقدمنا له ما يشفي غليل طالب الحق.

(٦) العواصم (٢/ ٢٨٣).

على الله تعالى خشية أن لا يكونوا قد وحدوا توحيد الأسماء والصفات. فتأمل.

وكتاب أبي يعلى في الصفات المسمى بـ(إبطال التاويل) فيه من الطامات والعجائب ما يكفي لأي لبيب أن يحكم على مصنفه أنه ليس معه من الإسلام خبر كما قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، ولا معه من تنزيه الله شيء معتبر، وقد طبع حديثًا جزء منه، بتحقيق أحد البسطاء، وهو دليل قاطع عند أي قارئ لبيب على الوثنية التي يدعو إليها هؤلاء باسم: توحيد الأسماء والصفات.

(تنبيه مهم جدًا):

ومما يدل على أن أتباع ابن تيمية وابن القيم مجسمة أيضًا يسيرون على نفس نهج شيخيهما، مؤلفاتهم المطبوعة والتي تثبت ذلك، منها كتاب طبع حديثًا لرجل وهابي يدعى (عبد الله بن محمد الدويش) اسم الكتاب (**المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال**) يُسَفّه فيه (سيد قطب) ويصفه بالابتداع وأنه جهمي أشعري معتزلي وإليك بعض ما يقول:

وقد رد على أبي يعلى هذا الحافظ ابن الجوزي في كتابه المشهور «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه».

١-يقول ص (١٠) ما نصه:

(فقد عاب – سيد قطب- قول أهل السنة والجماعة وهذا هو مسلك أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وسيجيء من كلامه ما يبين أنه سلك مسالكهم) اهـ.

٢-ويقول ص (١٩) ما نصه:

(وأقول قوله – سيد قطب – في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في المكان، هذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وأما أهل السنة والجماعة فلا يصفون الله

إلا بما وصف به نفسه..)

ثم قال بعد ذلك بخمسة أسطر في نفس الصحيفة ذامًا أهل البدع بنظره ما نصه:

(ومقصودهم بها نفي الصفات كالجسم والتحيز) اهـ!!

فهو يرى تبعًا لابن تيمية وابن القيم أن من صفات الله تعالى الجسم والتحيز، وأن كلام سيد قطب الذي وافق فيه الحق مع أنه أخوهم في الضلال، والأشاعرة الذين ينزهون الله عن التحيز والمكان ويقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ مبتدعة جهميون، فالله حسيبه وحسيب هذه الطائفة.

وقد قال الإمام الحافظ القرطبي في كتابه «التذكار»[1] في شأن المجسمة:

(والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور).

كذلك قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في (المجموع) شرح المهذب (٤/ ٢٥٣). بل أجمعت الأمة على تكفير المجسمة كما هو معلوم.

٣- صاحب كتاب (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) وهابي يرى تضليل كل من خالف مشربهم، يدل على ذلك أنه يقول ص (١٣):

(وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة قدس الله روحه..)!!! وأنه حيثما ذكر ابن تيمية وصفه بشيخ الإسلام دون باقي العلماء، فليتدبر أولوا الأبصار وليستيقظ النائمون!!

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلفت نظر أهل العلم إلى أن ابن أبي العز المنسوب للحنفية، صاحب شرح الطحاوية الذي خالف عقيدة الإمام الحافظ الطحاوي ونصوصه قائل بالتفريق بين توحيد الألوهية والربوبية، وأن ما يسمى المكتب الإسلامي الذي طبع ذلك الشرح بتوضيح الشاويش مديره، وتخريج الألباني إمامه

---

(١) التذكار (ص٢٠٨).

وشيخه سابقًا!! قد وضعوا صورة بعض صفحات مخطوطة شرح الطحاوية (الباطل) وتعمدوا أن تكون تلك الصفحات هي التي ذكر فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية[1] ثم إن موضحها الشاويش، ومحققها!! ومخرج أحاديثها الألباني!! وضع على الغلاف الداخلي كلام الإمام الحافظ السبكي في قوله عن عقيدة الطحاوي:(جمهور المذاهب الأربعة على الحقّ يقرون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول) ليوهما البسطاء أن هذا الثناء من الإمام الحافظ السبكي يشمل أيضًا شرحها الذي صنفه ابن أبي العز المنسوب للحنفية، والحقّ خلاف ذلك وهذا منهما تدليس وقلب من أوجه:

(**الأول**): أن هذا الشرح كتب بعد وفاة الإمام السبكي.

(**الثاني**): أن الإمام السبكي رحمه الله تعالى لا قيمة لكلامه عند هؤلاء لأنه أشعري العقيدة، ولأنه لا يحب ابن تيمية ويعرف حقيقة أمره وفداحة غلطه وهو محذر منه.

فإيرادهما لكلام الإمام الحافظ السبكي هنا هو لإيهام البسطاء والمبتدئين وأنصاف المتعلمين أن الإمام السبكي يثني على هذا الشرح الذي صنفه ابن أبي العز المليء بمخالفات عقيدة الإسلام، كقدم العالم بالنوع، وإثبات حوادث لا أول لها، وقيام الحوادث بذات الله تعالى وإثبات الحد له تعالى والجهة وغير ذلك، وفعلًا انطلى هذا التمويه على كثير من الناس وراج الكتاب بسبب ذلك وخصوصًا:

(**الثالث**): أن الناشر – الشاويش – قام بأمر شيخه وإمامه سابقًا الألباني!! بالتلاعب في ص(٥) من الطبعة الثامنة في الحاشية حيث لم ينقل كلام الإمام الحافظ السبكي بتمامه وبحروفه بل حرّف حيث حذف منه ما سيكون وَبَالًا عليه عند الله تعالى، ولننقل ما ذكره الناشر هناك، ثم نردفه بكلام الإمام السبكي من كتابه معيد النعم:

---

(١) انظر ص (٦٤) من الطبعة الثامنة.

قال الناشر[1]: كلمة العلامة السبكي في كتابه «معيد النعم» هي:

(وهذه المذاهب الأربعة – ولله الحمد – في العقائد واحدة، إلا من لحق منها بأهل الاعتزال والتجسيم، وإلا فجمهورها على الحقّ يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول) اهـ،

والإمام السبكي يقول حقيقة في كتاب «معيد النعم»[2] ما نصه:

(وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة – ولله الحمد – في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيًا إلا أشعري العقيدة،وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة) اهـ.

فتأمل بالله عليك كلام الناشر الذي زور كلام الحافظ السبكي وحرفه، ثم انظر وتأمل في كلام الإمام السبكي الحقيقي الذي نقلته لك من كتابه «معيد النعم» لتدرك أن هؤلاء الوهابية محرّفون مزيّفون متخصّصون بالتّحريف والتّزوير عاثوا في كتب التراث وعبارات علماء الإسلام فسادًا وإفسادًا فهم لصوص النصوص!

(الرابع): والذي يؤكد أنهم محرفون وخصوصًا ناشر الطحاوية وكذلك مخرج أحاديثها!! المتناقض!! أن الناشر الشاويش حقق بزعمه كتاب (الرد الوافر) لابن ناصر الدين الدمشقي الذي رد فيه على الإمام العلامة العلاء البخاري رحمه الله تعالى، ونقل الشاويش في مقدمة تحقيقه المذكور ترجمة العلاء البخاري وأفرط في ذمه!

---

(١) وبصراحة لا يحتمل إثم هذا العمل الناشر فحسب إنما يحمل إثم ذلك شيخه المتناقض! الذي كان يملي على الناشر هذه الافكار.

(٢) معيد النعم (ص٦٢، من طبعة مؤسسة الكتب الثقافية الطبعة الأولى، ١٩٨٦).

ونقل جزءًا من ترجمته من كتاب (الضوء اللامع) للحافظ السخاوي فحرف في النقل حيث قال واصفًا العلامة العلاء البخاري بقوله:

(وكان شديد الالتصاق بالحكام)!!

علمًا بأن الكلام الأصلي في كتاب «الضوء اللامع»[1] للسخاوي هو:

(وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم بل ويراسل السلطان معهم بماهو أشد في الإغلاظ ويحضه على إزالة أشياء من المظالم) اهـ. فتأمل كيف قلب (وكان شديد الإغلاظ على الحكام) ١٨٠درجة رأسًا على عقب فقال: (كان شديد الالتصاق بهم) فالله تعالى المستعان!

وقد روجع الشاويش بهذه المسألة وأثبت أن هذا العمل دال على الخيانة وفقدان الأمانة العلمية فوعد بالتراجع وتصحيح عبارة (كان شديد الالتصاق بالحكام) في الطبعة الجديدة ونحن بالانتظار[2].

وسنعقد الآن إن شاء الله تعالى فصلين:

الأول: في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية.

والثاني: في إبطال القسم **الثالث** وهو توحيد الأسماء والصفات منبهين على الأخطار من هذا التقسيم فنقول:

ومن تحريف الوهابية أيضًا وعياثهم[3] في كتب العلماء وتراث الأمة فسادًا أنهم قاموا بطبع كتاب الأذكار للإمام النووي طبعة جديدة وهي طبعة دار الهدى! الرياض، بإشراف إدارة هيئة البحوث والدعوة والإرشاد ١٤٠٩ هـ، فبدلوا في كلام

---

(١) الضوء اللامع (٩/ ٢٩١).

(٢) وقد صدرت الطبعة الجديدة ولم يذكر فيها تراجعًا إلى الحق وهذا مما يدل على إصرار أهل هذه النحلة على الباطل!

(٣) العيث الإفساد. انظر مختار الصحاح (١/ ٤٦٧).

النووي، وحرفوا منه قسمًا كما حذفوا منه ما لم يمكنهم تحريفه مما لا يوافق أهواءهم ومشربهم! وذلك في كتاب الحج من الأذكار في فصل ما يتعلق بزيارة سيدنا محمد ﷺ والذي يتحمل جل المسؤولية في ذلك أمام الله تعالى هو عبد القادر الأرناؤوط الذي حقق الكتاب وخرج أحاديثه وعلق عليه كما هو ثابت على غلاف الكتاب وقد انغرَّ بهذا الشخص الألباني المشرب الوهابي العقيدة بعض المغفلين لما يُظهر لهم من حلاوة لسانه.

فصل
في إبطال تقسيم التوحيد
إلى ربوبية وألوهية

اعلم أنّ هؤلاء الذين يكفّرون الشّخص لأنّه قصد قبر الرّسول أو غيره من الأولياء للتبرّك فهم جهلوا معنى العبادة، وخالفوا ما عليه المسلمون، لأنّ المسلمين سلفًا وخلفًا لم يزالوا يزورون قبر النّبيّ للتبرك وليس معنى الزّيارة للتّبرّك أنّ الرّسول يخلق لهم البركة بل المعنى أنّهم يرجون أن يخلق الله لهم البركة بزيارتهم لقبره. والدّليل على ذلك ما رواه البيهقيّ[1] بإسنادٍ صحيح عن مالك الدّار[2] وكان خازن عمر قال أصاب النّاس قحطٌ[3] في زمان عمر[4] فجاء رجلٌ[5] إلى قبر النّبي ﷺ فقال يا

(١) دلائل النبوة (٧/ ٤٧)، وصحح إسناده ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٩٢)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٩٥).

(٢) قول بعض الوهابية إن مالك الدار مجهول يرده أن عمر لا يتخذ خازنًا إلا خازنًا ثقة وقد وثقه الحافظ الخليلي في كتابه الإرشاد (١/ ٣١٣)، ومحاولتهم لتضعيف هذا الحديث بعدما صححه الحافظ ابن حجر لغوٌ لا يُلتفت إليه. ويقال لهذا المدعي: لا كلام لك بعد تصحيح أهل الحفظ أنت ليس لك في اصطلاح أهل الحديث حق في التصحيح والتضعيف فإن التصحيح والتضعيف خاص بالحافظ وأنت تعرف نفسك أنك بعيد من هذه المرتبة بعد الأرض من السماء فما حصل من هذا الصحابيّ استغاثة وتوسل. وبهذا الأثر يبطل أيضًا قول الوهابية إن الاستغاثة بالرسول بعد وفاته شرك. وقد قال الحافظ الفقيه اللغوي تقي الدين السبكي: «إن التوسل والاستغاثة والتوجه والتَّجوُّهَ بمعنى واحد» ذكر ذلك في كتابه شفاء السَّقام (ص/ ١٧٥) الذي ألفه في الرد على ابن تيمية في إنكاره سنية السفر لزيارة قبر الرسول وتحريمه قصر الصلاة في ذلك السفر.

(٣) أي وقعت مجاعة، تسعة أشهرٍ انقطع المطر عنهم.

(٤) أي في خلافته.

(٥) أي من الصحابة.

رسول الله استسق لأمّتك فإنّهم قد هلكوا[١] فأتي الرجل في المنام[٢] فقيل له أقرئ عمر السّلام[٣] وأخبره أنهّم يسقون[٤]، وقل له عليك الكيس الكيس[٥]. فأتى الرّجل عمر فأخبره، فبكى عمر وقال يا ربّ ما ءالو إلا ما عجزت[٦]. وقد جاء في تفسير هذا الرّجل[٧] أنّه بلال بن الحرث المزني الصّحابيّ. فهذا الصّحابيّ قد قصد قبر الرّسول للتبرّك فلم ينكر عليه عمر ولا غيره فبطل دعوى ابن تيمية أنّ هذه الزّيارة شركيّةٌ. وقد قال الحافظ وليّ الدّين العراقيّ[٨] في حديث أبي هريرة[٩] أنّ موسى قال «ربّ أدنني من الأرض المقدّسة رميةً بحجرٍ»، وأنّ النّبيّ ﷺ قال[١٠] «والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطّريق عند الكثيب الأحمر» فيه استحباب معرفة قبور الصّالحين لزيارتها والقيام بحقّها اهـ. وقال الحافظ الضّياء حدّثني سالم التّلّ قال: «ما رأيت استجابة الدّعاء أسرع منها عند هذا القبر، وحدثني الشيخ عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني أنه زار هذا القبر وأنّه نام فرأى في منامه قبّةً عنده وفيها شخصٌ أسمر فسلّم عليه وقال له أنت موسى كليم الله أو قال نبيّ الله، فقال: نعم، فقلت قل لي شيئًا، فأومأ إليّ بأربع أصابع ووصف طولهنّ، فانتبهت ولم أدر ما قال، فأخبرت الشّيخ ذيّالا بذلك فقال: يولد لك أربعة أولادٍ، فقلت: أنا قد تزوّجت امرأةً لم أقربها،

---

(١) معناه اطلب من الله المطر لأمّتك فإنهّم قد هلكوا.

(٢) أي أري في المنام أن رسول الله ﷺ يكلمه.

(٣) أي سلّم لي عليه.

(٤) أي سيأتيهم المطر، ثم سقاهم الله تعالى حتّ سمّي ذلك العام عام الفتق من شدّة ما ظهر من الأعشاب وسمنت المواشي حتّى تفتّقت بالشّحم.

(٥) أي عليك بالتفكر فيما تركت فعله مما ينبغي لتزول هذه النازلة عن المسلمين.

(٦) أي لا أقصرّ إلا ما عجزت، أي سأفعل ما في وسعي لخدمة الأمّة.

(٧) رواه سيف في الفتوح كما في فتح الباري (٢/ ٤٩٦).

(٨) طرح التثريب (٣/ ٣٠٣).

(٩) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٥).

(١٠) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٥).

فقال: تكون غير هذه، فتزوّجت أخرى فولدت لي أربعة أولادٍ» انتهى.

وأما الدعاء فليس جميعه عبادة إلا إذا دعونا من نعتقد فيه صفات الربوبية أو صفة واحدة منها، فقول النبي صلى الله عليه وءاله وسلم: «**الدعاء هو العبادة**» كما روى الحاكم وغيره بأسانيد صحيحة[1] ليس معناه أن كل دعاء عبادة كما سيتضح بعد قليل إن شاء الله تعالى، وإنما يكون الدعاء عبادة إذا كان لله، وقال بعض العلماء كما نقل المناوي في «فيض القدير»[2]:

(إن معنى حديث (الدعاء هو العبادة) أي أن الدعاء هو من أعظم العبادة، فهو كخبر (الحج عرفة) أي ركنه الأكبر، فالدعاء له عدة معان منها النداء، والنداء ليس عبادة وهذا المعنى موجود بكثرة في كلام العرب وفي القرءان الكريم فمن شواهده في كلام العرب قول الشاعر وهو دثار بن شيبان النمري[3]:

فَقُلْتُ ادْعِيْ وَأَدْعُوْ إِنَّ أَنْدَى لِصَوْتٍ أَنْ يُنَادِي دَاعِيَانِ

ومعنى قوله (ادعي) نادي، فهو خطاب لأنثى وهي حليلة لدثار، ومعنى (أدعو) أنادي أنا، ومعنى (إن أندى) أي إن أبعد وأرفع للصوت أن ينادي داعيان، أي مناديان، فظهر من هذا البيت أن الدعاء عند العرب يأتي بمعنى النداء.

---

(١) رواه الامام أحمد(٤/ ٢٧١) وابن أبي شيبة(٧/ ٢٣ الفكر) وأبو داود(٢/ ٧٧ برقم١٤٧٩) والترمذي(٥/ ٣٧٥ برقم ٣٢٤٧) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى(٦/ ٤٥٠) وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٢٠) والطبراني في ((معجمه الصغير)) (٢/ ٢٠٨ الروض الداني) والطبري في تفسيره (مجلد ١٢/ جزء ٢٤/ ص (٧٨)) وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٢٤ دار الفكر) والحاكم في ((المستدرك)) (١/ ٤٩١) وصححه وأقره الذهبي وهو كما قالا.

(٢) فيض القدير (٣/ ٥٤٠).

(٣) وهذا البيت من شواهد النحاة على نصب المضارع بعد الواو بعد الأمر، كما صرح به الأشموني وغيره عند قول صاحب الألفية:

والواوُ كالفا إن تُفِدْ مَفْهُومَ مَعْ كَلَا تَكُنْ جَلْدًا وَتَظْهَر الجَزَعْ

وأما في القرءان الكريم فمنه قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1]، أي لا تجعلوا نداءه بينكم كما ينادي بعضكم بعضًا، باسمه الذي سماه أبوه، فلا تقولوا يا محمد ولكن قولوا يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[2].

ويأتي الدعاء بمعنى العبادة وهو موجود في كلام العرب وفي القرءان الذي نزل بلغتهم الفصيحة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[3]، أي والذين تعبدون من دونه وكقوله تعالى أيضًا: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾[4]، أي ولا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك.

وللدعاء معنى ءاخر أيضًا وهو الاستعانة نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم ﴾[5]، ومن معانيه أيضًا السؤال كقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[6]، ومن معانيه أيضًا الثناء كقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾[7]، ومن معانيه أيضًا التسمية كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[8]، أي ما سموه بها، إلى غير ذلك من المعاني.

فاتضح أن مجرد النداء أو الاستغاثة أو الاستعانة أو الخوف أو الرجاء أو التوسل أو

---

(١) سورة النور آية ٦٣.

(٢) سورة الحجرات آية ٢.

(٣) سورة فاطر آية ١٣.

(٤) سورة يونس آية ١٠٦.

(٥) سورة البقرة آية ٢٣.

(٦) سورة غافر آية ٦٠.

(٧) سورة الإسراء آية ١١٠.

(٨) سورة الأعراف آية ١٨٠.

التذلل لا يسمى عبادة، فقد يتذلل الولد لأبيه والجندي لقائده ويخافه ويرجو منه أشياء فلا يسمى ذلك عبادة له باتفاق العقلاء، وليس مجرد النداء عبادة، ولو كان هذا النداء لأموات ففي الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لأهل البئر واسمها القليب، التي ألقي فيها جماعة من الكفار في بدر: (هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فإني قد وجدت ما وعدني الله حقا)، خاطب النبي كفار قليب بدر، قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها، قال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئًا**[1]».

وليس التوسل عبادة للمتوسل به إلى الله، فقد علم رسول الله ﷺ الأعمى أن يقول: «**اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي**[2].»..

كما أن الاستغاثة أيضًا بمخلوق ليست عبادة له كما ثبت في الصحيحين (أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وءاله وسلم فيشفع ليقضى بين الخلق[3]).

فقد كان كما هو معلوم السجود لغير الله عز وجل على وجه التحية والتكريم مشروعًا في الشرائع السابقة وإنما حرم في هذه الشريعة، فمن فعله لأحد تحية وإعظامًا من غير أن يعتقد فيه ربوبية كان ءاثمًا بذلك السجود ولا يكون كافرًا إلا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له، ويرشدك إلى ذلك قوله عز وجل في سيدنا يعقوب

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٠١ فتح) ومسلم (٤/ ٢٢٠٣).

(٢) الحديث وهو صحيح مشهور بين أهل العلم، رواه الترمذي (٥/ ٥٦٩والبيهقي في (دلائل النبوة) (٦/ ١٦٦-١٦٨) والحاكم (١/ ٣١٣) وصححه على شرطهما وأقره الذهبي وغيرهم بأسانيد صحيحة.

(٣) انظر (فتح الباري) (٣/ ٣٣٨)، فما زعمه الجهلة أن كل نداء للميت عبادة له فهو من التخبط في الجهل القبيح.

نبي الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وامرأته وبنيه حين دخلوا على سيدنا يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[1]، قال بعض المفسرين:

(أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلًا، وقد كان هذا سائغًا في شرائعهم، إذا سلموا على الكبير يسجدون له، لم يزل هذا جائزًا من لدن ءادم إلى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، فحرم هذا في هذه الملة).

ويوضح ذلك أيضًا أمره عزّ وجلّ الملائكة بالسجود لآدم، فكان سجودهم له عليه الصلاة والسلام عبادة للآمر عزّ وجلّ، وإكرامًا لآدم عليه السلام.

ويثبت أنه لا فرق بين توحيد الألوهية والربوبية أيضًا أن الله تعالى حكى عن فرعون أنه قال مرة: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[2]، ومرة أخرى: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[3]، فاتضح أن الإله هو الرب، والرب هو الإله ولا فرق.

وبالجملة فقد أومأ القرءان الكريم والسنة المستفيضة إلى تلازم توحيد الربوبية والألوهية وأن ذلك مما قرره رب العالمين، واكتفى سبحانه من عبده بأحدهما عن صاحبه، لوجود هذا التلازم، وكذلك اكتفى به الملائكة المقربون عند السؤال، وفهم الناس هذا التلازم، ولم يقل أحد من السلف ولا من الصحابة ولا من التابعين بالفرق، وأن هناك توحيد ألوهية يغاير توحيد الربوبية، ولم ينقل ذلك التفريق عن واحد منهم فضلًا عن نقله من الكتاب أو السنة، حتى ابتدع وتكلم بذلك بعض أهل القرن الثامن الهجري، ولا عبرة بذلك قطعًا، فما هذا الهذيان لهذا التقسيم الذي يفتريه أولئك المبتدعة الخراصون فيرمون المسلمين بأنهم قائلون بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة – أي الألوهية– وأنه لا يكفي المسلمين توحيد الربوبية

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠.

(٢) سورة القصص آية ٣٨.

(٣) سورة النازعات آية ٢٤.

في إخراجهم من الكفر وإدخالهم في الإسلام.

وينبغي لفت النظر أيضًا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[1]، وهي في موضعين من كتاب الله تعالى، ولم يقل إلهنا بل قال ربنا الله، وقول رسول الله ﷺ لمن سأله عن وصية جامعة: «**قل ربي الله ثم استقم**»ولم يقل له: قل إلهي الله ثم استقم، فاكتفى بتوحيد الربوبية في النجاة والفوز لاستلزامه وعدم تغايره لتوحيد الألوهية، وهذا بشهادة الله ورسوله كما ترى، فمن رافقه التوفيق وفارقه الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقينًا علمًا لا تخالطه ريبة أن مسمى العبادة شرعًا لا يدخل فيه شيء مما عداه، كالتوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلًا، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها.

ألا ترى الجندي يقوم بين يدي رئيسه ساعة وساعات احترامًا له وتأدبًا معه، فلا يكون هذا القيام عبادة لرئيسه لا شرعًا ولا لغة، ويقوم المصلي بين يدي ربه في صلاته بضع دقائق قدر قراءة الفاتحة ونحوها، فيكون هذا القيام عبادة شرعًا، وسر ذلك أن هذا القيام وإن قل زمنه مقترن باعتقاد القائم ربوبية من قام له.

ولم يأت عن واحد من الأئمة الأربعة أو غيرهم من أئمة السلف، ولا عن أتباع التابعين ولا عن التابعين ولاعن الصحابة، ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته الواسعة في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها أن التوحيد ينقسم إلى توحيد ربوبية وإلى توحيد ألوهية، وأن من لم يعرف توحيد الألوهية لا يعتد بمعرفته لتوحيد الربوبية.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2]،

---

(١) سورة فصلت آية ٣٠.

(٢) سورة الزمر آية ٣٨.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[1]، معناه أنهم يقولون ذلك إذا سألتهم عند ظهور الحجج القاطعات عليهم والآيات البينات، وذلك مجرد قول بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم، لأنهم ما كانوا يقرون بوجود الخالق خلافًا لمن زعم أنهم كانوا موحدين توحيد ربوبية وخلافًا لمن زعم أن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة وأن توحيد الربوبية يعرفه المشركون والمسلمون مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]، فهذا الزعم لا شك أنه باطل لأن هذا الزاعم لبس على العوامّ معنى الآية أو لم يفهمها هو! وقد بيَّنا معناها: أنهم أقروا بألسنتهم فقط، لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3] معناها كما قال القرطبي في التفسير[4]:

(أي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي) معناه: أنهم يقولون بألسنتهم فقط عند إقامة الحجج عليهم وهم في الحقيقة لا يقولون بذلك.

وأيضًا قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾[5]، قال الإمام القرطبي: (أي جدبها وقحط أهلها (ليقولن الله) أي فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الإعادة (قل الحمد لله) أي على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته (بل أكثرهم لا يعقلون)) انتهى كلام القرطبي.

فإذا تنبهت لمعنى هذه الآيات وأمثالها وعرفت بأنها ليست دليلًا على أنهم كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كما يتوهم بعض الناس، لأن القرءان وواقع هؤلاء الكفار

---

(١) المؤمنون ٨٦-٨٧.

(٢) سورة لقمان آية ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت آية ٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرءان (١٣/ ٣٦١).

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٣.

يبين أنهم كانوا ينكرون الخالق وينكرون السجود له، كما سيأتي الآن إن شاء الله تعالى في ذكر الآيات الموضحة لذلك، وكانوا ينكرون البعث ويعتقدون التأثير والتدبير لغير الله فيقولون: (أُمطِرْنا بنَوْءِ كذا ونَوْءِ كذا) ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كما زعم الخراصون لما قال لهم المولى سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[1]، بل كان اللازم على زعمهم أن يقول لهم: اعبدوا إلهكم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[2] الآية، وكان اللازم على زعم من قال: إن النمرود كان يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية، أن يقول الله تعالى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في إلهه، وكان اللازم على زعمهم أن يقول الله تعالى بدل قوله: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[3]، أن يقول على زعمهم: – بإلههم يعدلون – ولكن ذلك فاسد لأنهم لم يكونوا مقرين، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[5]، فأما هم فلم يجعلوه ربًّا، وقال تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[7]، وقد اشتهر إنكارهم للبعث أشد الإنكار، وأنه لا يهلكهم إلا الدهر، وقد اشتهر ذلك في أقوالهم وأشعارهم، حتى قال أحدهم: [من المتقارب]

---

(١) سورة البقرة آية ٢١.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٣) سورة الأنعام آية ١.

(٤) سورة يس آية ٧٨/ ٧٩.

(٥) سورة النمل آية ٢٥.

(٦) سورة يوسف آية ٣٩.

(٧) سورة الأنعام آية ١٠٨.

أشـــابَ الصَّغِـــيرَ وأَفْنَـــى الكَبِـــير كـــرَّ الغَـــداةِ ومُـــرَّ العَـــشِيّ

واشتهر عنهم أنهم كانوا يقولون: ما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، فهل يقول عاقل في هؤلاء مع هذا الكفر الصريح أنهم كانوا موحدين توحيد الربوبية؟!

ولو كانوا يقرون بتوحيد الربوبية عند إقامة الحجة عليهم، فإن مجرد الإقرار به لا يسمى توحيدًا عند علماء المسلمين، ولو كان الإقرار بالربوبية توحيدًا كما زعم الخراصون لكان تصديق عتاة قريش النبي ﷺ وتكذيبهم بآيات الله توحيدًا، ولا يقول بهذا عاقل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[1]، ولو كان الإقرار بالربوبية توحيدًا كما زعموا لكان علم عاد بالخالق مع تكذيبهم ءاياته ورسوله هودًا عليه السلام لما هددهم بالعذاب توحيدًا زاجرًا لهم عن قولهم، كما أخبر الله عنهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[2]، ولا يقول بهذا عاقل، أيقول عاقل في فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[3]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[4]، وقوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[5]، مع قوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[6]، لما أجابه سيدنا موسى عليه السلام عن سؤاله عن حقيقة رب العالمين له: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٣.

(٢) سورة فصلت آية ١٥.

(٣) سورة النازعات آية ٢٤.

(٤) سورة القصص آية ٣٨.

(٥) سورة الشعراء آية ٢٤.

(٦) سورة الشعراء آية ٢٧.

مُّوقِنِينَ ﴾[1]، وقوله له أيضًا: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[2]، فهل يقال بعد هذا: إن فرعون كان يعرف توحيد الربوبية ويجهل توحيد الألوهية؟!

فهذا التقسيم للتوحيد باطل غير صحيح، وكل من قال به مخطئ.

وأما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[3]، فمعناه وما يؤمن أكثرهم بالله مع إقرارهم بوجود الخالق عند إقامة الحجة والبراهين عليهم تكذبه قلوبهم ويكذبه واقعهم، فإيمانهم أمامكم عند إقامة الحجة والبرهان على وجود الله تعالى بألسنتهم غير عابر ولا مقبول عند الله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾[4]، فهم كاذبون باتخاذهم ءالهة يعبدونها غير الله، أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا، أو اعتقادهم الولد له سبحانه والتعبير في هذه الآية في جانب شركهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام الواقعة حالًا لازمة، والتعبير في جانب إيمانهم أي إقرارهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد دليل لغوي أن شركهم دائم مستمر، وأن إقرارهم بوجود الخالق الرازق المحي المميت مع ارتكابهم ما ينافي ذلك الإقرار من أقوالهم وأفعالهم وعبادتهم لغير الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾[5]، لا يكون توحيدًا ولا إيمانًا لغة ولا شرعًا، لأن الايمان في اللغة هو التصديق بالقلب مطلقًا، وفي الشرع تصديق النبي صلى الله عليه وءاله وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة، فقولهم عند إقامة الحجة عليهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، كذب منهم ليبرئوا أنفسهم، والله تعالى بين أنهم كاذبون إذ قال كما

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٤.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٦.

(٣) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٤) سورة التوبة آية ٨.

(٥) سورة يس آية ٧٤.

في ءاخر هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[1].

فصل
في إبطال القسم الثالث
من التقسيم المزعوم وهو توحيد الأسماء والصفات

اعلم يرحمك الله تعالى أن أهل السنة والجماعة بما فيهم الأشاعرة والماتريدية يثبتون لله من الصفات ما أثبت لنفسه، وما يشوشه المجسمة عليهم من أنهم معطلة وجهمية تشويش فارغ لا قيمة له بعد التمحيص العلمي والتدقيق[2].

فأهل السنة يثبتون لله تعالى العلم والقدرة والإرادة والمشيئة والرحمة والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك من الصفات، وينزهون الله سبحانه عما لا يليق به.

ولا يطلقون بعض الألفاظ والإضافات الواردة في الكتاب والسنة والتي لا يراد منها حقيقتها صفات لله تعالى، لأن نفس القواعد التي أسستها ءايات القرءان المحكمة وأحاديث النبي صلى الله عليه وءاله وسلم ترفض ذلك، فمثلًا لا يثبتون صفة النسيان مع أن لفظ النسيان ورد مضافا لله تعالى في القرءان، قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾[3]، فلم يصفوا الله بذلك - أعني النسيان - لأن الله تعالى يقول أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾[4]، وكذلك لفظ الهرولة والضحك والمرض والجوع وردت في أحاديث لا يجوز لأي عاقل أن يطلقها صفات

---

(١) سورة الزمر آية ٣.

(٢) والمؤمن لا ينغر بالشعارات ولا بالإشاعات الكاذبة، وإنما يتثبت من كل أمر يسمعه ويمحص ويبحث بنفسه.

(٣) سورة التوبة آية ٦٧.

(٤) سورة مريم آية ٦٤.

على الله سبحانه، فالحديث الصحيح الذي فيه: «**ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**[1]» لا نثبت به صفة الهرولة لله سبحانه التي معناها الحقيقي في اللغة المشي السريع، بل يعرف جميع العقلاء ويدركون بأن المراد بذلك المعنى المجازي في اللغة وهو: (من أطاعني وتقرب إلي تقربت إليه بإكرامه والإنعام عليه أكثر وأسرع).

وكذلك ما جاء في الحديث القدسي الصحيح: «**يا ابن ءادم مرضت فلم تعدني**[2].». لا نقول إن الله أثبت لنفسه مرضًا وأضافه إليه فنحن نثبت له صفة المرض، بل لا يقول بهذا عاقل، وقد أرشد الحديث إلى أن الصفة هي للعبد، وإنما الذي صرف تلك الصفة من أن نعدها من صفات الله، قواعد التنزيه المأخوذة من الكتاب والسنة الناصة على أنه سبحانه (ليس كمثله شيء).

والضحك كذلك لا يليق أن يطلق على الله وإنما يطلق على سبيل المجاز، وتأويله عند أهل العلم الرضا أو الرحمة، فإذا ورد في حديث أن الله يضحك إلى فلان فالمراد به أنه يرضى عنه ويرحمه وهكذا، فهناك قواعد وأصول لا بد أن نرجع إليها ضبطها أهل العلم من الأئمة الراسخين الربانيين.

روى الإمام البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات»[3] بتحقيق الإمام المحدّث الكوثري عليه الرحمة والرضوان، طبعة دار إحياء التراث.

أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى أول الضحك بالرحمة، وهذا هو نهج السلف والمحدثين والبخاري بلا شك من أئمة المحدثين ومن أهل القرون الثلاث قرون السلف المشهود لها بالخيرية.

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

(٢) الحديث رواه مسلم (٤/ ١٩٩٠ برقم ٢٥٦٩).

(٣) الأسماء والصفات (ص٢٩٨)، بتحقيق الامام المحدّث الكوثري عليه الرحمة والرضوان، طبعة دار إحياء التراث.

فرع
التأويل من منهج السلف

يشيع المجسمة والمشبهة أن مذهب السلف عدم التأويل وإمرار النصوص واعتقاد حقيقة ظواهرها، وأن مذهب الخلف وعلى رأسهم الأشاعرة هو تأويل الصفات والتعطيل.

وهذه إشاعة لا أصل لها من الصحة البتة، وقد انْغَرَّ بها كثير من الناس فظنوا صحتها، والصواب أن السلف كانوا يؤولون كثيرًا من الألفاظ التي لا يرد منها إثبات صفات الله تعالى، وتفسير الإمام الحافظ ابن جرير السلفي الذي (توفي سنة ٣١٠هـ) أكبر برهان على ذلك فقد أورد الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره وروى بأسانيده عن سيدنا ابن العباس تأويل (الساق) الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[١]، بالشدة، لأن العرب تقول كشفت الحرب ساقها أي اشتدت[٢].

كما نقل الحافظ ابن جرير تأويل النسيان بالترك، انظر تفسير الطبري[٣]، ونقل تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[٤]، أي بنيناها بقوة، انظر (٢٧/ ٧) من تفسيره[٥].

---

(١) سورة القلم آية ٤٢.

(٢) وهناك كتاب صنّفه بعض أذيال الألباني سماه (المنهل الرقراق) أنكر فيه ثبوت هذا التاويل للساق عن سيدنا ابن عباس بعد تأليف هذه الرسالة بسنين، وهو مخطئ في ذلك إذ إن ذلك قد تواتر عن ابن عباس في الكتب.

(٣) مجلده ٥/ جزء٨ ص٢٠١-٢٠٢

(٤) سورة الذاريات آية ٤٧.

(٥) (الأيد): في اللغة جمع يد وهي الكف، وليس كما يشيع بعضهم باطلًا بتلبيس غريب أن (الأيد) في اللغة لا تطلق إلا على القوّة، ليصلوا إلى أنّ ابن عباس لم يؤوّل في هذه الآية، فهؤلاء تكذبهم قواميس اللغة، ففي القاموس المحيط للمجد الفيروزأبادي في مادة (يدي) يقول: اليد:=

ويكذبهم قبل ذلك القرءان الكريم فإنّ الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾[1].

وهذه التأويلات منقولة عن سيدنا ابن عباس وعن مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم من أعلام السلف الصالح رضي الله عنهم، وكلها تشهد بكذب من قال إن السلف لم يؤول أحد منهم ولم يكن التأويل من منهجهم وإنما هو عند الخلف والأشاعرة المعطلة الجهميين، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، يطمسون بها الحقّ والحقائق، وينصرون بها ءاراءهم الخاطئة المغلوطة. والتأويل أيضًا ثابت عن الإمام أحمد ثبوت الشمس في رابعة النهار وهو من أعلام السلف وأئمة المحدثين، وإليه تظهر المجسمة الانتساب وهو مؤول.

أول الإمام أحمد قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2]، أنه جاء ثوابه، كما ثبت عنه بإسناد صحيح[3].

وهناك تأويلات أخرى كثيرة وردت عن الإمام أحمد.

= الكف، أو أطرف الأصابع إلى الكتف، جمعها: أيد ويُدِيٌّ. أ هـ. فتأمل.

(١) سورة الأعراف آية ٩٥.

(٢) سورة الفجر آية ٤٢.

(٣) انظر (البداية والنهاية) لابن كثير (١٠/ ٣٢٧).

فرع
كشف حقيقة قول من قال للتمويه لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ونثبت لله ما أثبت لنفسه

إن ابن تيمية إمام هذه الطائفة، يقول بهذا الكلام ويدعو إلى توحيد الأسماء والصفات ثم نراه يثبت لله ما لم يثبته الله لنفسه ويصف الله بما لا يليق به سبحانه، ويسير معه تلامذته وأتباعه على ذلك.

نرى ابن تيمية يثبت لله الحركة والجلوس والاستقرار على ظهر بعوضة والحد ويثبت لله سبحانه صفات بأحاديث موضوعة أو إسرائيليات من ذلك أنه أثبت أن الله سبحانه يتكلم بصوت يشبه صوت الرعد[1] بل يقول بجواز إطلاق أن الله جسم[2]، بل يقول بأن التجسيم والتشبيه غير مذمومين، لا في الكتاب ولا في السنة، ولا عند السلف الصالح كما تقدم، وهو غير صادق في ذلك، فيقول في كتابه «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» ما نصه[3]: «فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم الكتاب والسنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين».

ويقول في كتابه «التأسيس» ما نصه[4]:

(وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم).

---

(١) انظر كتابه موافقة صريح المعقول المطبوع على هامش منهاج السنة (٢/ ١٥١).

(٢) كتابه المسمى منهاج السنة (١/ ١٨٠) والتأسيس (١/ ١٠١).

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١٠٩).

(٤) انظر التأسيس (١/ ١٠١).

ويقول في كتابه «التأسيس» أيضًا[1]:

(ولو قد شاء – الله – لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم).

ويثبت ابن تيمية في التأسيس والموافقة[2]: الحد لله تعالى والحد لمكان الله تعالى، علمًا بأن لفظة (حد) لم ترد في الكتاب ولا في السنة، فأين قوله: لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه؟!

بل يقول هناك في الموافقة[3] بكفر من لا يقول بالحد لله تعالى وهو بنظره جاحد بآيات الله كافر بالتنزيل فيقول ما نصه:

(فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد ءايات الله).

فالمسلمون جميعًا الذين لا يعتقدون بعقيدته هذه التي لم ترد بالكتاب والسنة كفار بنظره، حتى تلميذه الذهبي الذي يقول في كتابه «ميزان الاعتدال»[4] إن الاشتغال بمسألة الحد اشتغال بفضول الكلام والذي يقول في «سير أعلام الأنبياء»[5]:

(وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه).

وكذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي نفى الحد عن الله تعالى[6] يكون كافرًا على قاعدة ابن تيمية هذه!! ومعاذ الله، والمسلمون قبل ابن تيمية بقرون اتفقوا على

---

(١) التأسيس (١/ ٥٦٨).

(٢) الموافقة (٢/ ٢٩).

(٣) الموافقة (٢/ ٢٩).

(٤) ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٠٧).

(٥) سير أعلام الأنبياء (١٦/ ٩٧).

(٦) انظر لسان الميزان (٥/ ١١٤).

تنزيه الله تعالى عن الحد ونقل ذلك الاتفاق جماعة من الأئمة والعلماء، قال الإمام الاستاذ أبو منصور البغدادي الذي يعول على كلامه الحافظ ابن حجر وأمثاله من العلماء في كتابه «الفرق بين الفرق» ما نصه[1]:

(وقالوا – أي أهل السنة مجمعين – بنفي النهاية والحد عن صانع العالم).

فمما قدمته وأوضحته ودللت عليه يوضح ما هو توحيد الأسماء والصفات عند من يدعو إليه، وأن ذلك مجرد دعوة إلى تجسيم الله تعالى وتشبيهه بخلقه ووصفه بما لم يصف به نفسه، أو إطلاق بعض الألفاظ – الواردة في الكتاب والسنة والتي لم يقصد منها أنها صفات – على الله تعالى وحملها على أنها صفات حقيقية لله تعالى، وإشاعة أن التأويل بدعة مذمومة وأن الأشاعرة وغيرهم فرق ضالة لأنهم عطلوا صفات الله تعالى بزعمهم، وكل ذلك باطل لا أصل له.

وتتميمًا للبحث لا بد أن نتكلم عن أصل أكبر فرقة قديمة من فرق المجسمة وهي الكرامية وبيان بعض ءارائها في الصفات والتي توافق ما يدعو إليه ابن تيمية وأتباعه، وخصوصًا أن ابن تيمية يثني عليها في كتابه «منهاج السنة»[2] ويعتبرها من أكابر نظار المسلمين ثم نعرض نماذج من كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز المنسوب للحنفية زورًا خطأ والحنفية منه براء، لأن ذلك الكتاب كتاب خطير يحوي على كثير من العقائد الفاسدة التي سأذكر بعضها إن شاء الله تعالى، والذي ينبغي أن يحذره المدرسون وطلاب العلم ويعلموا بأن ابن أبي العز شارحها يرد على صاحب العقيدة الطحاوية الإمام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى، فأقول:

لا يقال عن شخص من نُظّار المسلمين إلا إذا كان صحيح العقيدة مستقيماً غير مطعون فيه، فإذا كان كذلك وكان مُبرّزاً في التأليف والتصنيف قوي الحجة

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٣٣٢ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٨١).

شجًا في حلوق أعداء الإسلام والفرق الضالة فيقال عنه حينئذ إنه من نُظّار المسلمين، وأجلب لك على هذا مثال واضح محسوس:

ذكر الذهبي في ترجمة أبي محمد كُلاّب في «سير أعلام النبلاء» ما نصه[1]:

وقال بعض من لا يعلم: إنه ابتدع ما ابتدعه ليدُسّ دين النصارى في ملتنا وإنه أرضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظيرهم اهـ.

وقال المعلّق على كلام الذهبي هذا في «سير أعلام النبلاء»[2]: وكان إمام أهل السنة في عصره وإليه مرجعها، وقد وصفه إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ في كتابه «الارشاد»[3]: بأنه من أصحابنا. وقال السبكي في طبقاته أحد أئمة المتكلمين. وابن تيمية يمدحه في أكثر من موضع في كتابه منهاج السنة وفي مجموع رسائله ومسائله، ويعده من حذاق المثبتة وأئمتهم، ويرى أنه شارك الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف في الرد على مقالات الجهمية، وحين تكلّم أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين»[4] عن أصحابه، ذكر أنه يقولون بأكثر مما ذكرناه عن أهل السنة إهـ كلام المعلّق.

قلت: بل ذكر الحافظ أنّ الإمام البخاري كان على مذهبه في علم الكلام حيث قال في «الفتح»[5]: مع أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيد والنضر بن شميل والفراء وغيرهم، وأما المباحث الفقهية فغالبها مستمدة له من الشافعي وأبي عبيد وأمثالهما، وأما

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٥).

(٢) سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٥).

(٣) الارشاد (ص١١٩).

(٤) مقالات الإسلامين (١/ ١٨٩، ٢٩٩).

(٥) الفتح (١/ ٢٤٣).

المسائل الكلامية فأكثرها من الكراديسي وابن كلاب ونحوهما اهـ.

ولنعد إلى ما بدأنا به ولنتذكر أن النظار أو نظار المسلمين هم أكابر العلماء المتخصصين في الرد على المبتدعة، وهم: أهل التأمل وتقليب البصر والبصيرة وأهل التفحص في مسائل العلم،وابن تيمية الحرّاني يعطي هذا اللقب للكرامية الجهلاء الذين أجمعت الأمة على كفرهم كما نص على ذلك الإمام البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»[1] فيقول ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»[2]: وكما قال ذلك من الكرّامية غيرهم من نُظّار المسلمين اهـ.

فكأنّه يقول: كما قال ذلك من قال من الشافعية وغيرهم من فقهاء المسلمين، فتأمل!! وهل يعتبر من نُظّار المسلمين من يقول: بأن الله له حد وإنه جسم جالس على العرش مماس وإن الحوادث تقوم بذاته؟ فتدبروا يا أولي الأبصار!

إمام الكرامية الذين يثني عليهم ابن تيمية هو محمد بن كرام السجزي المجسم صاحب العقائد الوثنية المشهورة في كتب الفرق، وإليك نبذة عن هذا لتكون على بينة منه ومن ضلالات عقائده:

قال الإمام عبد القاهر البغدادي في «أصول الدين»[3]:

(وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم: بأن الله تعالى له حد ونهاية من جهة الأسفل ومنها يماس عرشه، وقولهم الله تعالى محل للحوادث).

وقال الإمام البغدادي أيضًا في «الفرق بين الفرق»[4]:

---

(١) الفرق بين الفرق (ص٢١٥، بتحقيق محمد محي الدين).

(٢) منهاج السنة (١/ ١٨١).

(٣) أصول الدين (ص٣٣٧).

(٤) انظر كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص٢١٥ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(فصل في ذكر مقالات الكرامية، وبيان أوصافها: الكرامية بخراسان ثلاثة أصناف، وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضًا وإن أكفرها سائر الفرق، فلهذا عددناها فرقة واحدة، وزعيمها المعروف محمد ابن كرام وضلالات أتباعه. نذكر منها المشهور، الذي هو بالقبح مذكور، فمنها: أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه، وقد ذكر ابن كرام في كتابه أيضًا أن الله تعالى مماس لعرشه وأن العرش مكانٌ له، وأبدل أصحابه لفظ المماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش. واختلف أصحابه في معنى الاستواء المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]. فمنهم من زعم: أن كل العرش مكان له، وأنه لو خلق بإزاء العرش عروشا موازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانًا له،ومنهم من قال:إنه لا يزيد عن عرشه في جهة المماسة، ولا يفضل منه شيء على العرش، وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث).

وقد نقل أيضًا الشيخ علي القاري في «شرح المشكاة»[2]: إجماع السلف والخلف على أن من اعتقد أن الله تعالى في جهة فهو كافر كما صرح به العراقي وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الاشعري والباقلاني اهـ. ولا يخفى أن اعتقاد الجهة نوع من التجسيم.

وقال الإمام القرطبي في «التذكار»[3]: (والصحيح القول بتكفيرهم - أي المجسمة- إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور). وجزم الإمام النووي في «المجموع»[4] بتكفير المجسمة وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى. وأما رد أحمد على المجسمة والمشبهة فمنقول في «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزي الحنبلي، وكتاب

---

(١) سورة طه آية ٥.

(٢) شرح المشكاة (٢/ ١٣٧).

(٣) التذكار(ص٢٠٨).

(٤) المجموع (٤/ ٢٥٣).

«مرهم العلل المعضلة» لليافعي بتوسع. والإمام الطحاوي الذي أرادوا أن يشوهوا عقيدته يقول فيها: تعالى -يعني الله- عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات.

وقد اتضح بهذا كله مذهب أهل السنة والجماعة واتضح أيضًا حكمهم على أهل الزيغ من المشبهة المجسمة، وأن أصل التشبيه والتجسيم دسه في هذه الأمة ابن كرام السجستاني صاحب العقائد الزائغة، وأن الملّة أكفرته وأكفرت من قال بمقالاته المنحرفة، وأن من جملة مقالاته الكفرية: قوله بالحد في حق الله تعالى، وقوله بالجسمية لله تعالى، وأن الله تعالى يماس عرشه من جهة السفل لأنه فوق العرش، وقد أجمع أهل السنة على تنزيه البارئ سبحانه عن المكان كما هو معلوم، ولكن ابن كرام قال بالفوقية الحسية والمكانية، فأكفره أهل السنة ومن تبعه على ذلك، ثم قال: إن الله تعالى محل للحوادث، أي يجوز قيام الحوادث بذات الله سبحانه، تعالى الله عن هذا الكفر الصريح ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1] ومرادنا من ذلك كله بيان أن ادعياء توحيد الأسماء والصفات قائلون بذلك ومنهم ابن أبي العز صاحب شرح الطحاوية، وإليك إثبات ذلك:

١- أما قول شارح الطحاوية المشار إليه بحوادث لا أول لها، أو بقدم نوع الحوادث والمخلوقات ففي كتابه ما نصه[2]:

(فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟ فيه ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم: أضعفها قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف.

---

(١) سورة الصافات آية ١٨٠.

(٢) شرح الطحاوية (ص١٢٩من الطبعة الثامنة).

وثانيها: قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

والثالث: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل كما يقوله أئمة الحديث).

فانظر كيف نسب الكفر الصريح إلى أهل الحديث فقال إنهم يقولون إن الحوادث وهي المخلوقات يمكن أن تكون دائمة في الماضي، ومعناه قديمة النوع حادثة الافراد وأهل الحديث براء من ذلك بلا شك، وقد نص القرءان الكريم على بطلان ذلك في ءايات كثيرة كما لا يخفى، وكذا السنة المطهرة نص فيها سيدنا محمد ﷺ على بطلان ذلك، ففي البخاري: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**»[1] وأجمعت الأمة على أن الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا أعيان، كما نقل ذلك الأستاذ أبو منصور البغدادي في الفرق[2] وقال الأستاذ أبو منصور أيضًا:

(وقد زعم البصريون من القدرية أن الجواهر والأعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضًا، وقول هؤلاء يؤدي إلى القول بقدم العالم، والقول الذي يؤدي إلى الكفر كفر في نفسه) اهـ. يعني أن القول بقدم الحوادث لا شك أنه كفر.

تكملة في الرد على ابن أبي العز:

وكذلك نص على هذا الإجماع المؤيد بقول الله تعالى (هو الأول) ابن حزم في كتابه مراتب الاجماع، حيث قال في ءاخره:

اتفق العلماء على أن الله عزّ وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده لا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء، وأنَّ النفس

---

(١) انظر فتح الباري (١٣/ ٤١٠).

(٢) انظر «الفرق بين الفرق» (ص٣٣٢) وانظر أيضًا (ص٣٢٨).

مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق)[1].

ثم بعد هذا كله أحكم على ابن أبي العز المنسوب لأهل الإثبات ولأهل الحديث وللحنفية زورًا ولمن تبعه وقال بمقالته ونشر كتابه بين العامة وخرج أحاديثه مادحًا كتابه! ولا سيما إذا عرفت أيضًا أنه قال[2]:

(والقول بأن الحوادث لها أول، يلزم منه التعطيل قبل ذلك وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل غير فاعل ثم صار فاعلًا).

نعوذ بالله تعالى من هذا الهذيان ما أشنعه، ومن هذا الرجل ما أجرأه على الشرع، وكيف يشنع على المتكلمين ثم يأتي بأصول الشناعات!!

ثم هو رد صريح الكتاب والسنة والإجماع، وتأول لذلك بالباطل كما ترى، فأين ذهب ذمه للتأويل وللمتكلمين الذي تشدق به أول ما يقرب من عشرين صحيفة من كتابه وحيثما سنحت الفرص، لكن كما قالوا: رمتني بدائها وانسلت.

ثم انظر إلى قوله في صحيفة (١٣٥) من الطبعة الثامنة مبرهنًا على حوادث لا أول لها، رادًّا رواية «كان الله ولم يكن شيء معه» ورواية «ولم يكن شيء غيره» مثبتًا رواية «ولم يكن شيء قبله» ليستدل بها على زعمه على حوادث لا أول لها حيث قال:

(وقد أجابهم النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات، لأنهم لم يسألوه عنه) اهـ.

ويعنون بذلك كذبًا وزورًا أنه قبل هذا العالم الموجود الآن كان هناك عالم ءاخر، يعني أن العالم قديم النوع أزلي، حادث الأفراد، وهي مقالة متأخري الفلاسفة، وقد قال العلماء سابقًا:

---

(١) انظر مراتب الإجماع المطبوع مع نقد مراتب الإجماع ص (١٦٧).

(٢) (صحيفة ١٣٣ من شرح الطحاوية الطبعة الثامنة بتخريج الألباني وتوضيح الشاويش).

بثلاثــة كفــر الفلاســفة العــدا في نفيهــا وهــي حقيقًــا مثبتــة
علــم بجزئــي حــدوث عــوالم حــشر لأجســاد وكانــت ميتــة

ونكتفي بهذا القدر الذي ذكرناه من الكلام على نقطة حوادث لا أول لها، ولنعرض أمرًا ءاخر من تلك الطامات فنقول:

٢- قال ابن أبي العز في شرحه مثبتًا أن كلام الله تعالى حروف وأصوات، وأن الله تعالى يتكلم إذا شاء ويسكت متى شاء وهو المفهوم من كلامه، ومن اللازم القريب لكلامه[١]: (إن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة) اهـ[٢]. وفي هذا الكلام الخطير خوضٌ في ذات الله تعالى وصفاته وهو عين ما ذم به علماء الإسلام، إثبات قيام الحوادث بذات الله، تعالى الله عما يقولون، وقد تقرر عند أهل العلم أن ما قام به الحادث فهو حادث، وقد كفر علماء الإسلام الكرامية لأمور منها هذا القول كما نقلناه فيما مضى، وقد أثبت ذلك ابن أبي العز وحاول الدفاع عنه، فقال صحيفة (١٧٧) منها:

(فإذا قالوا لنا: فهذا ما يلزم أن تكون الحوادث قامت به، فقلناهذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرءان والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضًا مع صريح العقل) اهـ. ويكفي في رد ذلك عرضه للقارئ[٣].

---

(١) بل صرح بذلك -أي بصفة السكوت- ابن تيمية إمامه، انظر الموافقة على هامش منهاجه (٢/ ٣٨).

(٢) انظر «شرح الطحاوية» (ص١٦٩) واعلم أن أئمة الحديث والسنة براء من هذا كالذي قبله، وهو رميهم وتهمتهم بأنهم يقولون بحوادث لا اول لها.

(٣) علمًا بأن هذا النص منقول من «منهاج السنة» (١/ ٢٢٤) للشيخ الحراني فشرح العقيدة الطحاوية هي تلخيص لكتابه «منهاج السنة» ولـ«موافقة صريح المعقول»!! ولذلك يركزون عليها=

واستدل لهذه العقيدة الفاسدة بحديث موضوع فقال صحيفة (١٧٠):

قال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم: (بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: (سلام قولًا من رب رحيم) فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره) اهـ.

قلت: في إسناده أبو عاصم العبادني واسمه عبد الله بن عبيد الله، قال عنه الذهبي[١] (واه)، وهو قدري اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»[٢] الطبعة الهندية: (وأورد له العقيلي عن روايته عن الفضل الرقاشي عن ابن المنكدر عن جابر: (بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع نور) الحديث، وقال لا يتابع عليه ولا يعرف إلا به) اهـ.

وأما الفضل الرقاشي الذي يروي عنه أبو عاصم فهو منكر الحديث كما قال الحافظ في التقريب: (برقم ٥٤١٣)، وفي «الكامل في الضعفاء») لابن عدي[٣]: (قال البخاري عن ابن عيينه قال كان يرى القدر وليس أهلًا أن يروى عنه) اهـ، ولذلك أورد هذا الحديث ابن الجوزي في الموضوعات وقال: (الفضل رجل سوء) اهـ، فانظر كيف استدل ابن أبي العز على عقيدته بهذا الحديث والله تعالى المستعان!

٣- قال ابن أبي العز مثبتًا الحد لذات الله سبحانه وتعالى عن هذا الهذيان صحيفة (٢١٩) ما نصه: (فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في الأمر

= ويحرصون على نشرها!

(١) الميزان، للذهبي، (٢/ ٤٥٨/ ٤٤٣٧)

(٢) لسان الميزان (٣/ ٣١٤).

(٣) الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٠٣٩).

أصلًا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته)[1].

فإنه بهذه العبارة أثبت الحد لذات الله تعالى، فقال بما قال أهل الزيغ من قبل: (من نفى الحد عن الله تعالى أخبر بعدم الرب سبحانه) وهؤلاء الأصل عندهم الجسمية فلما تخيلوا أن المولى سبحانه عما يتخيلون جسمًا أجروا عليه أحكام الأجسام، فالجسم متى لم يكن له حد كان عدمًا وكذلك تخيلوا الباري سبحانه.

وقولهم لأهل السنة: (إنكم إذا نفيتم الحد ساويتم ربكم بالشيء المعدوم)، تكفل برده ابن حجر العسقلاني[2] حيث بين أن قول المجسمة هذا قول نازل ساقط لا عبرة به فقال:

وقوله «قال له النافي ساويت ربك بالشيء المعدوم إذ المعدوم لا حد له نازل، فإنا لا نسلم أن القول بعدم الحد يفضي إلى مساواته بالمعدوم بعد تحقق وجوده». وقدمنا في أول هذه الرسالة تكفير الأمة للمجسمة ولابن كرام في قوله بالحد، وقال الإمام أبو منصور البغدادي[3]: «إن أهل السنة اتفقوا على نفي النهاية والحد عن صانع العالم خلافًا للهشامية والكرامية المجسمة».

وكلام ابن أبي العز قبل العبارة التي نقلناها وبعدها كله تمويه على الناس لترويج بضاعته الفاسدة وإقناع المغفلين بها، فهو تارة يكذب على الإمام عبد الله بن المبارك: فينقل عنه زورًا أنه قال بالحد.

لأن الكفر كفر كائنًا من كان الناطق به والزيغ زيغ كائنًا ما كان مصدره، وليس في

---

(١) علمًا بأن الطحاوي يقول في المتن: (وتعالى عن الحدود والغايات) والألباني يحاول أن يشكك في كلام الطحاوي هذا في تعليقاته على الطحاوية ص (٢٩) نقلًا عن ابن مانع فيقول بأنه لا يستبعد أن يكون هذا مدسوسًا على الطحاوي. وهذا تشكيك فارغ باطل لا التفات إليه، وإذا كان هذا حقًا فمتن الطحاوية وشرحه لا يستبعد أيضًا أن يكون بجملته مدسوسًا من أعداء الإسلام.. إلخ.

(٢) في (لسان الميزان) (٥/ ١١٤)

(٣) الفرق بين الفرق، ص٣٣٢.

الإسلام دين يختلف باختلاف الأشخاص فالإيمان إيمان مطلقًا والكفر كفر مطلقًا فما جاء في الكتاب والسنة ثبوته مجملًا أو مفصّلًا أثبتناه وما نفاه الكتاب أو السنة مجملًا أو مفصلًا نفيناه، والمعصوم هو السنة والإجماع كما هو مقرر عند أهل السنة، وتارة ينفي ابن أبي العز الحد، محتجًّا بأن للحد معاني كثيرة كقوله ص(٢١٩): (وأما الحد بمعنى العلم والقول وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة).

فانظر إلى هذا الروغان ما أشنعه وأقبحه! فلم هذا التخبط؟ لا شك أن ذلك كله لقلب الحقائق، ولترويج عقيدة الزيغ وإقناع الناس بها، وأهل السنة والجماعة عندما أجمعوا على نفي الحد عن الباري سبحانه وأكفروا من قال به لم يقل أحد منهم من أثبت الحد بمعنى كذا جاز ومن أثبته بمعنى كذا لم يجز، وإنما قالوا: (وأما مجسمة خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب، لقولهم بأن الله تعالى له حد ونهاية.) كما تقدم عن الشيخ عبد القاهر البغدادي.

٤- وأما مسألة الجهة فابن أبي العز ممن يقول بها ويقاتل من أجلها قتال مستميت، فانظر إلى الروغان حيث قال صحيفة (٢٢١) من شرح الطحاوية:

(وأما لفظ الجهة، فقد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق).

فانظر كيف قاس الخالق على المخلوق، ومعنى كلامه: أي كما أن المخلوق في جهة فكذا الخالق في جهة بجامع الوجود لكل منهما، ولا شك أن هذا قياس وثني فاسد قطعًا.

ثم قال ابن أبي العز في نفس الصحيفة ما نصه: (وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده، فإذا قيل إنه في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح).

فقد قرر بأن الله تعالى في جهة ما فوق العالم، وهذا المكان عينه للمولى سبحانه

وتعالى عن هذيانه، سماه بالمكان العدمي أو بالأمر العدمي، وإني أستغرب جدًّا كيف يكون لمعبوده مكان يشار إليه بالإصبع!!

ولا يخفاك أخي المؤمن أن أهل السنة أجمعوا على تنزيه الله تعالى عن المكان لدلالة الكتاب والسنة المصرحة بذلك.

وقد نصّ ابن أبي العز في سلسلة سقطاته أيضًا زيادة في نغمة طنبوره في رأس صحيفة (٢٢١): أن الجهات لا نهاية لها. اهـ ومعنى ذلك أنه لا حد لها، فجعل للخالق حدًّا ونزه المخلوق عن الحد فسبحان قاسم العقول الوهاب!!

مع أن أهل السنة كما قال الإمام البغدادي في الفرق ما نصه[1]:

(أجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها، وكذلك السماء متناهية الأقطار من الجهات الست، خلاف قول الدهرية).

ثم اعترض هذا المجسم على الإمام الطحاوي في تنزيهه الله تعالى عن الجهات فقال ص (٢٢١):

(لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته). فأوّل كلام الإمام حسب مراده، لينفي أن الإمام الطحاوي يقول بهذا فاعترض عليه لينفي ما تبقى من احتمال ذلك على زعمه فقال في نفس الصحيفة:

(لكن بقي في كلامه شيئان أحدهما أن إطلاق مثل هذا اللفظ مع ما فيه من الإجمال والاحتمال كان تركه أولى، وإلا تسلط عليه وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو)!!

وإليك بعض عقائد الكرامية أيضًا المندرجة في كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية:

---

(١) الفرق (ص٣٣٠).

٥- قال صحيفة (٢٨٢):

(فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره).

٦- قوله صحيفة (٢٨٦):

(الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل، الثالث عشر: الإشارة إليه حسًّا إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه).

وذكر قبل ذلك وبعده أدلة بزعمه دالة على هذا العلو الحسي، والمعبر عنه أحيانًا بفوق وبذاته وبجهة السماء. ولا أدري أين ذهب بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[١] وبقوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٥]، وغير ذلك من الآيات، ومن الحديث قوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**[٦]»، وقوله أيضًا: «**اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل**[٧]» رواه الترمذي، ومن الذي قال: حديث حسن

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦.

(٢) سورة الواقعة آية ٨٥.

(٣) سورة الحديد آية ٤.

(٤) سورة الأنعام آية ٣.

(٥) سورة ق آية ١٦.

(٦) رواه مسلم (١/ ٣٥٠).

(٧) رواه الترمذي (٥/ ٤٩٧)

صحيح اهـ وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة.

وإذا كان يؤول هذه النصوص الموهمة للحلول فما أجدره أيضًا أن يؤول تلك النصوص الموهمة للتجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، عند المغفلين الذين لا يعرفون أصول عقيدة الإسلام التي منها تنزيه الله سبحانه عن مشابهة خلقه، المعبر عنها بقول العلماء: كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك، المأخوذ من قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، ومن قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2]، ومن قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[3].

٧- والقول بالجهة والفوقية الحسية يفضي إلى القول بأنه خارج العالم على العرش بذاته كما يقول أهل التجسيم، أو داخل العالم في السماء حسًّا لا معنى كما يقول الحلوليون وكلا القولين باطل، فقد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى منزه عن المكان يعني أنه لا تعين له جهة كالمخلوق فيقال إنه مستقر فيها وحال بها فقول الحلولية: إنه في كل مكان باطل، وقول المجسمة: إنه فوق العالم خارج عنه فوق العرش باطل أيضًا، لأن هذا يلزم منه وصفه سبحانه بالاتصال أو الانفصال ووصفه بأنه خارج أو داخل العالم، وكل ذلك باطل لأنهم بنوا ذلك على ما أصلوه وهو الجسمية، فوصفوه بأنه خارج العالم، لتثبيت عقيدة الزيغ وإقناع الناس بها ولذلك صرح أهل السنة والجماعة بأن الله سبحانه لا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لأن هذا نوع من إدراك الخالق والله سبحانه لا يحيط به أو لا يدركه أحد من خلقه، وهؤلاء يريدون أن يدركوه وأن يعينوا له مكانًا فسبحان ربك رب العزة عما يصفون لذلك قال ابن أبي العز في شرحه ص(٢٢٢) ما نصه: (ولا نظن بالشيخ - يعني الطحاوي - رحمه الله أنه ممن

---

(١) سورة الشورى آية ١١.

(٢) الإخلاص ٤.

(٣) سورة النحل آية ١٧.

يقول إن الله تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه بنفي التعيين) اهـ.

وإليك بعض أقوال علماء الإسلام في ذلك:

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

(الله تعالى مقدس عن المكان، ومنزه عن الأقطار والجهات، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته) الإحياء[1].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني[2]:

(فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حكمه لم ولا كيف، كما يتوجه عليه في وجوده أين وحيث).

وقال إمام الحرمين[3]:

(ثم نقول: إن سميتم الباري تعالى جسمًا وأثبتم له حقائق الأجسام، فقد تعرضتم لأمرين: إما نقض دلالة حدث الجواهر، فإن مبناها على قبولها للتأليف والمماسة والمباينة وإما تطردوها وتقضوا بقيام دلالة الحدث في وجود الصانع، وكلاهما خروج عن الدين، وانسلال عن ربقة المسلمين).

وقال الإمام الحافظ البيهقي[4]:

(والقديم سبحانه -أي الله- لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين على العرش، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد، لأن المماسة والمباينة التي

---

(١) الإحياء (٤/ ٤٣٤)، وانظر أيضًا (شرح الإحياء) للزبيدي (١٠/ ١٨١).

(٢) فتح الباري (١/ ٢٢٠-٢٢١)

(٣) الارشاد (ص٦١)

(٤) الأسماء والصفات (ص٤١٠).

هي ضدها والقيام والقعود من أوصاف الأجسام، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى).

وقال الإمام المظفر الأسفراييني[1]:

(وأن تعلم أن الحركة والسكون، والذهاب والمجيء، والكون في المكان، والاجتماع والافتراق، والقرب والبعد من طريق المسافة والاتصال والانفصال، والحجم والجرم، والجثة والصورة، والحيز والمقدار والنواحي والأقطار والجوانب والجهات كلها لا تجوز عليه تعالى لأن جميعها يوجب الحد والنهاية).

وقال الإمام النووي[2]:

(من اعتقد قدم العالم، أو حدوث الصانع، أو نفى ما هو ثابت للقديم بالإجماع ككونه عالما قادرًا، أو أثبت ما هو منفي عنه بالإجماع كالألوان، أو أثبت له الاتصال والانفصال كان كافرًا).

وقال الإمام المحدث ملا علي القاري[3]: مشنعًا على ابن أبي العز هذا شارح الطحاوية ومشوهها ما نصه:

(والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه وتبع فيه طائفة من أهل البدع).

وقال العلامة القاري أيضًا صحيفة ١٧٢: (ومن الغريب أنه استدل على مذهبه الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء) اهـ.

وقد عرضنا البعض اليسير مما في شرح الطحاوية من أخطاء مستشنعة مرفوضة في

---

(١) التبصير (ص٩٧ بتحقيق الإمام الكوثري).

(٢) الروضة (١٠/ ٦٤).

(٣) انظر شرح الفقه الأكبر (ص١٧٢).

عقيدة الإسلام، محذرين لطلاب العلم والمدرسين في شتى المجالات من تدريسها ودراستها وتقريرها على الطلاب وموافقة ما فيها من الخطأ من باب قول النبي ﷺ:(الدين النصيحة) وأرجو أن يعرف أهل العلم وطلابه ما هو المراد من توحيد الأسماء والصفات عند من يدعو إليه، وأن المراد منه عند هؤلاء الضالين ما رأينا من التجسيم وإقامة الوثنية التي حاربها الإسلام وجاء بهدمها.

ردود من كتاب
مصباح الأنام وجلاء الظلام

في رد شبه البدعي النجدي التي أضلّ بها العوام تأليف العلامة الحبيب علوي ابن أحمد بن حسن بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به ءامين.

يقول في الفصل الأول:

اعلم يا أخي أن توحيد الله عزّ وجلّ هو رأس مال العبد الذي به نجاته في الآخرة، وهو الذي إذا صح منه بنيت عليه جميع أعماله الصالحة، ومقابل التوحيد الشرك وهو نوعان: أصغر وأكبر، فالأصغر هو الشرك في العبادة كأن لا يخلص لله تعالى في عبادته بل يرائي بها الناس في بعض الأحيان، فهذا النوع من جملة المعاصي وهو لا يخلد في النار بل قد يغفر الله لصاحبه. وأما الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله فهو الشرك في ذات المعبود سبحانه بأن يجعل معه إلهًا ءاخر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[1] وفي صفاته بأن يجعل له شبيهًا، فمن اعتقد أن مع الله إلهًا ءاخرًا مستقلًا بالذات أو مشابهًا له في الصفات أو مشاركًا له في الأفعال بأن يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويضر وينفع استقلالًا بغير إذنه فهو مشرك بالله عزّ وجلّ شركًا أكبر يستحق به الخلود في النار. وأما الفعل بإذنه تعالى فقد يكون ذلك معجزة لنبيّ أو كرامة لولي ولكن لا يكون كفعل الله فإن فعل القديم ليس كفعل الحادث قال الله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي﴾[2]، وقال: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ

---

(١) سورة النحل آية ٥١.

(٢) سورة المائدة آية ١١٠.

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ ﴾[1]» فقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾[2]» لا يكون مشاركة للبارئ في خلق الخلق ألبتة وقوله تعالى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ لا يكون مشاركة له أيضًا في إحياء الموتى وقوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لا يكون مشاركة له في علم الغيب إذ لا مشابهة بين فعل القديم والحادث ولا بين علم القديم والحادث بوجه من الوجوه لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فإنه لو ملّكه إحياء طير واحد لم يملّكه إحياء الطيور كلها، ولو ملّكه إحياء ميت واحد لم يملّكه إحياء الموتى كلهم، ولو علمه غيب واحد ما شاركه في علم الغيوب كلها، ولو ملّكه مضرة رجل واحد لم يقدر على مضرة جميع الخلق، ولو ملّكه منفعة رجل واحد لم يقدر أن ينفع جميع الخلق، فلا مناسبة بين فعل الخالق والمخلوق في الإحياء والإماتة والضر والنفع وغيرها من جميع الأفعال لأن أفعال الله تعالى عامة في الكليات والجزئيات وإنما هذه أفعال جزئيات يجريها الحقّ تعالى على أيدي من شاء من خلقه معجزات وكرامات للأنبياء والأولياء يجب الإيمان بها عند أهل السنة وما جاز أن يكون معجزة للنبيّ جاز أن يكون كرامة للولي بشرط عدم دعوى النبوّة فعلى هذا لا إنكار على الولي إذا قال أنا أفعل وأفعل بإذن الله فإنه لا يدعي شيئًا من تلقاء نفسه استقلالًا وإنما غايته أن يتحدث بما أنعم الله به عليه من المواهب والكرامات ولا حرج عليه في ذلك قال الله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ وقد قال العلماء الولي له كرامات يتحدث بها إذا كان في ذلك مصلحة دينية كتخويف من يؤذي المسلمين وينهب أموالهم من قطاع الطريق بقوله انظروا كيف كان عاقبة فلان وفلان لما ءاذونا فعل الله بهم كيت وكيت، فهذا التحدث به فيه مصلحة دينية

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٤٩.

وهي كف الأذى من الظلمة والمؤذين، وهذا هو الذي حمل الشيخ النجدي على تكفير السادة والمشايخ يقول إنهم يترشحون فيا ليت شعري هل ادعوا بشيء من عند أنفسهم أم تحدثوا بنعم الله عليهم فإنهم لا يقولون فعلنا وتركنا وإنما يقولون فعل الله بفلان كذا وصنع الله بفلان كذا وهذا من باب التحدث بنعم الله لامن باب الدعاوى والافتخار وتخويف الظلمة وقطاع الطريق ومن يؤذي المسلمين فكيف وقد قلدهم الله سيوفًا ماضيةً وسهامًا بالطعن في قلوب المنكرين قاضية حتى ذلت لهم الجبابرة وخضعت لهم صيد الملوك وخافتهم الظلمة وإنقاد لهم كل شئ حتى سباع البر وهوام البحر وحيتانه، فاسأل أهل مصر والروم والشام والعراق والهند وسائر بلاد الإسلام عن كرامات الشيخ عبد القادر أو غيره من الأولياء، واستمع لما يلقى إليك من قدرة الله وكل ذلك ليس من طاقتهم وقدرتهم ولا بسيوفهم ورماحهم وإنما هو من قدرة الله وعزته العلية بسيوف لا إله إلا الله ورماح لا حول ولا قوة إلا بالله، فمن أنكر عليهم فإنما ينكر على مولاهم الذي تفضل عليهم وحباهم فإنهم لا قوة لهم إلّا به فإن الولي هو من لا يرى الحول والقوة والضر والنفع والعطاء والمنع إلا من الله وحده فحينئذ يتولى الله أمره ويعز له من نفسه بالكلية فلهذا سميّ وليًا لأن الله قد تولاه بالخصوصية وهو سبحانه يختص برحمته من يشاء، ويكفي في ذلك دليلًا قوله تعالى في الحديث القُدسيّ الصحيح «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**».

يقول المؤلف في الفصل الأول:

إن توحيد الألوهية داخل في عموم توحيد الربوبية بدليل أن الله تعالى لما أخذ الميثاق على ذرية ءادم خاطبهم بقوله ألست بربكم ولم يقل بإلهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية. ومن المعلوم أن من أقر له بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله بل هو الإله. وأيضًا ورد في الحديث أن الملكين يسألان العبد في

قبره فيقولان من ربك ولم يقولا من إلهك فدل على أن توحيد الربوبية شامل له. ومن العجب العجاب قول المدعي الكذاب لمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله من أهل القبلة أنت لم تعرف التوحيد، التوحيد نوعان توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون والكفار، وتوحيد الألوهية الذي أقر به الحنفاء وهذا هو الذي يدخلك في دين الإسلام وأما توحيد الربوبية فلا، فيا عجبًا هل للكافر توحيد صحيح!! فإنه لو كان توحيده صحيحًا لأخرجه من النار إذ لا يبقى فيها موحد كما صرحت به الأحاديث. فهل سمعتم أيها المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية والألوهية ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في دين الإسلام أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم بإسلامهم؟! فما هذا الافتراء والزور على الله ورسوله فإن من وحد الرب فقد وحد الإله ومن أشرك بالرب فقد أشرك بالإله فليس للمسلمين إله غير الرب، فإذا قالوا لا إله إلا الله يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الألوهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضًا ويثبتون له الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله.

الإله شرعًا هو المعبود بحق وهو الله تعالى وحده يستحيل أن يكون معه إله ءاخر عند جميع المسلمين، لأن الله تعالى قد أخبرهم في كتابه العزيز بأنه إله واحد فقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ وأخبرهم أيضًا أنه يستحيل أن يكون معه إله ءاخر فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وأيضًا أخبرهم أنه غني عن العالمين وأنهم فقراء إليه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ وأخبرهم أيضًا أنه لا مثيل له ولا شبيه فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وأخبرهم أيضًا أنه لم يكن له شريك في الملك ولم يتخذ ولدًا فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ فإذا ثبت بنص القرءان أنه تعالى إله واحد وأنه ليس كمثله شيء وأنه يستحيل أن يكون معه إله ءاخر وأنه لم يكن له شريك في الملك

فأين هؤلاء الآلهة والشركاء الذين يزعمهم دجّال اليمامة وكذابها أي أنه يزعم أن من يستغيث بالأولياء كشمسان وإدريس وتاج ناس من أكابر السادة الأموات يعتقد فيهم أهل نجد والإحساء وينادون بأسمائهم عند المهمات متوسلين بهم إلى الله تعالى ويقولون شمسان إدريس وتاج وفلان وفلان تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. فيا ليت شعري كيف يستحق الألوهية من له شبيه ونظير كيف يستحق الألوهية من هو عاجز وفقير فثبت أنه إلى الآن لم يعرف الله تعالى حيث شبهه بخلقه.

وأما ما استدل به من الآيات الكريمة على تكفير المسلمين كقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ وما بعدها من الآيات فهي إنما أنزلت في حق الكفار المنكرين للقرءان والرسول بدليل الآيات التي قبلها في الرد عليهم وهي قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ ﴾ وكقوله في سورة يونس: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فإن الضمير فيها راجع إلى كفار مكة المنكرين للقرءان المكذبين بالرسول ﷺ المنكرين للبعث والنشور بدليل الآيات التي قبلها في الرّد عليهم وهي قوله تعالى: » **وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله**»، إلى أن قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ وكقوله تعالى في سورة سبأ ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ فإن قبلها قوله تعالى مخبرًا عن الكفار في إنكارهم للقرءان ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ وكقوله تعالى في سورة الزمر ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ فإن بعدها قوله تعالى ردًّا على من نسب له الولد تعالى الله ﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ لأنهم لا يقرون بالرسالة للنبيّ ﷺ وقولهم ليقربونا معتقدين أنهم ءالهة وأنهم شركاء كما حكى عنهم سبحانه في قولهم ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا

لِشُرَكَآئِنَا ﴾ الآية ولو أنهم ءامنوا بالله وحده وأقروا برسالة نبيه وما جاء به واعتقدوا في الحجر أنه من خلقه وأنه لا ذنب له نفعهم لقوله عليه السلام «**لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه**» لاعتقاده أنه لا يضر ولا ينفع خلق من خلقه إلا بإذنه، والكفار حكى الله عنهم أنهم يعبدونهم لقوله سبحانه حكاية عنهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ ﴾ الآية ولم يقولوا نعتقدهم فافهم الآن العبادة لله وحده، والاعتقاد حسن الظن بعباد الله مطلوب للحديث الوارد عنه ﷺ: «**خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله تعالى وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله**» وقال سيدنا الإمام أبو بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه ما نلت الذي نلت إلا بحسن الظن بالمسلمين فإذا تأملت في هذه الآيات القرءانية التي جعلها حجة له على تكفير المسلمين وجدته قد خبط خبط عشواء وركب متن عمياء إذ لا حجة فيها أصلًا على المسلمين وإنما وردت في حقّ من يزعم أن لله بنين وبنات وأن له شركاء ممن ينكر القرءان ويكذب بالرسول وينكر البعث والجزاء فأي مناسبة بين المسلم والكافر فإن الكافر لو قال لا إله إلا الله وهو يسجد للصنم ويزعم أن لله بنين وبنات وشركاء لم يقبل منه التوحيد ولا يسمى موحدًا بل هو كافر ملحد.

ويقول المؤلف:

ومن جملة هذيانه وخرافاته قوله إن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر فأما الصالحون فأول من أمر به رسول الله ﷺ صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما فقد أمرهما أن يقصدا أويسًا القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم. وأما التبرك فقد كانت بُردته ﷺ عند كعب بن زهير يتبرك بها ثم اشتراها معاوية من أولاده بثلاثين ألف درهم ولم يزل الخلفاء يتبركون بها وقد كان في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعر النبيّ ﷺ حملها معه تبركًا، ذكره القاضي عياض في الشفا وذكر المناوي في

شرحه على خصائص الإمام السيوطي لما حج النبيّ حجة الوداع لما حلق رأسه ﷺ قسم شعره تبركًا على أصحابه فانظر الحديث بطوله في الكتاب المذكور، كيف وقد أتى في القرءان بالبيان بقوله تعالى حكاية عن النبيّ يوسف: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ إلى قوله ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ وأما الاعتقاد فهو أصل كل خير وأول من سعد به من رجال هذه الأمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما اعتقد في النبيّ ﷺ أنه رسول الله وحبيبه وخيرته من خلقه فآمن به وصدقه وقد شقيَ به الكفار حيث انتقدوا عليه ﷺ ولم ينظروه بعين الإجلال والتعظيم وأولياء الله أتباعه ﷺ ولهم من هذا المعنى نصيب، فمن رءاهم بعين[1] سعد بهم ومن رءاهم بعين الانتقاد شقي بهم وحرم بركاتهم. ومن جملة هذيانه أيضًا إنكاره لكرامات أولياء الله وما خصهم الله به من الخصوصيات والأسرار والبركات وقوله إن أولياء الله لا شفاعة لهم عند الله ولا جاه. فأما الكرامات فدلائلها من الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بكتاب روض الرياحين لليافعي أو غيره فهي من جملة الكرامات التي يجب الإيمان بها عند أهل السنة قال تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2] قال البيضاوي يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره وقال تعالى في شأن الخضر ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[3] وقال في حق لقمان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[4] وقال تعالى ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[5] فخصوصية الله تعالى لأنبيائه ورسله معجزات ولأوليائه المتبعين لهم كرامات وما جاز أن يكون معجزة لنبيّ جاز أن يكون كرامة لولي[6] بشرطها

---

(١) أي بعين الإجلال والاحترام والمحبة مع الاقتداء الكامل بهم لأنهم أحباب الله.

(٢) سورة البقرة آية ١٠٥.

(٣) سورة الكهف آية ٦٥.

(٤) سورة لقمان ١٢.

(٥) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٦) إلا ما كان من خصائص النبوة.

المتقدم ذكره ومن جملة الخصوصيات علم الكشف وعلم الإلهام أما الكشف فقد كشف الله عزّ وجلّ لعمر بن الخطاب عن سارية وهو على المنبر يخطب حتى قال يا سارية الجبل الجبل محذرًا له من العدو وسارية بأرض العجم فسمع صوت عمر من مسيرة شهر وفي الخبر الصحيح أن «**في أمتي ملهمون أو محدَّثُون ومنهم عمر**» وورد أيضًا اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وأما الأسرار الإلهية فلو لم يرد في إثباتها إلا الحديث القدسي وهو قوله تعالى: «**الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي**» لكفى به دليلًا فلا ينكر أسرار أولياء الله إلا المحرومون. قال ابن عطاء الله في حكمه سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وأما شفاعة أولياء الله وجاههم عند الله فلو لم يرد في ذلك إلا قوله ﷺ: «**إن الله لَيَدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء**» لكفى به كيف وقد جاء في ذلك عدة أحاديث منها في البخاري حديث الأبدال وفي ءاخره «**بهم تمطَرون وبهم تنصرون وبهم تسقون**» وحديث «**إن الله ليحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم**» وغير ذلك من الأحاديث. ومن جملة هذيانه وخرافاته أيضًا إنكاره على شاعر العلماء وعالم الشعراء الإمام العلامة البوصيري صاحب البردة المشهورة في قوله:

يــا أَكْرَمَ الخَلْــقِ ما لي مَنْ أَلُــوْذُ بِهِ سِوَاكَ عندَ حُلُولِ الحادِثِ العَمِمِ(٤)

حتى قال إن هذا شرك أكبر لأنه دعاء لغير الله وأدخل في أذهان بعض العوام ذلك. فأما قوله إنه دعاء فكذب وبهتان وإنما هو نداء والنداء غير الدعاء لأن الطلب إذا كان من مخلوق لمخلوق فلا يسمى دعاءً لا شرعًا ولا عرفًا بين المسلمين كما نص عليه الإمام المحدث زين الدين العراقي الشافعي والإمام العلامة ابن رشد المالكي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي وغيرهم من الأئمة الأعلام وإنما سماه

---

(١) أي الهول الشامل يوم القيامة.

دعاء ترويجًا على العوام وإدخالًا للشبهات في قلوبهم حتى لا يتوسلون برسول الله ﷺ ولا بغيره من الأنبياء والرسل وهذا من خذلانه وجهالته. واعلم أن الدعاء الذي هو مخ العبادة إنما هو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات بالتضرع إليه خاصة، وهذا لا يكون إلا لله عزّ وجل، إذ لا تجد مسلمًا قط يرفع يديه يتضرع بالدعاء إلى مخلوق مثله على أنه يغفر له ويرحمه ويقضي جميع حوائجه بل هذا خاص بالله تعالى وإنما غايته أن يتوسل إلى الله بأنبيائه ورسله مناديًا لهم بأسمائهم والنداء غير الدعاء الذي هو العبادة ولهذا قال في الاقناع للحنابلة من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم فإنه يكفر إجماعًا. قال العلامة مفتي الحرمين الشريفين عبد الوهاب المصري: المراد من هذه العبارة أنه يجعل بينه وبين الله وسائط على أنهم ءالهة دون الله يتوكل عليهم يعني يفوّض أمره إليهم ويجعل معتمده عليهم ويدعوهم ويسألهم أي على أنهم هم المعطون والفاعلون ومعلوم أنه ليس أحد من الناس عامة وخاصة يعتقد ذلك. وهذا لم يقل صاحب الإقناع ولا غيره من العلماء من جعل بينه وبين الله وسائط يناديهم ويتوسل بهم بل قال يدعوهم ويتوكل عليهم، والدعاء والتوكل عبادتان فمن صرف العبادة إلى غير المعبود كفر حيث جعل مع الله إلهًا ءاخر يدعوه ويتوكل عليه. ومعلوم لدى كل عاقل أن النداء جائز فلا يكون كفرًا لأنه غير عبادة، ولو كان النداء عبادة لكفر كل من نادى غير الله وهذا لا يقوله أحد بل قد جاء في الحديث الصحيح أن النبيّ ﷺ أمر الأعمى أن يتوضأ ويحسن الوضوء ثم يدعو بالدعاء المشهور وفيه «**يا محمّد إني أتوجه بك إلى ربّك في حاجتي لتقضى**»، فانظر كيف أمره أن يناديه باسمه الشريف قائلًا يا محمّد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى. وورد في الحديث الصحيح أن الخلائق يوم القيامة يفزعون إلى الأنبياء والرسل طالبين منهم الشفاعة منادين لكل نبيّ باسمه، وورد في الحديث «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا ثلاثًا ثم قال فإن لله في الأرض حضرًا سيحبسه**»، وفي حديث ءاخر «**وإذا أراد عونًا فليقل يا**

عباد الله أعينوني ثلاثا»، فلو كان النداء عبادة كما زعم هذا الجاهل المغرور ما أمر به الأعمى كما تقدم ذكره ولما أمر به صاحب الدابة أن يقول ياعباد الله احبسوا يا عباد الله أعينوني ولما أخبر أيضًا أن الخلائق ينادون الأنبياء بأسمائهم طالبين منهم الشفاعة فثبت أن النداء غير الدعاء، وأعلم أن قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ وقوله تعالى ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ ونحو ذلك من الآيات القرءانية إنما هو خطاب للكفار لا للمسلمين لأن المسلمين قد عرفوا بنص كتاب الله أن الشريك على الله محال فكيف يدعون مع الله أحدًا وقد عرفوا أن المعبود بحق يستحيل أن يكون معه ثان، وأما المعبود بالباطل فلا يسمونه إلهًا لأنه لا يستحق العبادة فالمعبود بحق واحد وهو الله تعالى لا غيره كما مر بيانه في الفصل الأول فراجعه ترشد إن شاء الله تعالى. وأما تشبيهه لمن نادى رسول الله ﷺ أو غيره من الأنبياء والأولياء بمن نادى الأصنام أو بمن نادى عيسى وعزيرًا والملائكة فلا يخفى فساده إذ إن الأصنام ليسوا من أهل الشفاعة، وأما عيسى وعزير عليهما السلام فقد أخبر الله تعالى عن مقالة الكفار فيهما بقوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ الآية، وأما الملائكة فقالت خزاعة وكنانة وغيرهم من كفار مكة أنهم بنات الله تعالى الله عن ذلك والمسلمون بحمد الله بريئون من ذلك الاعتقاد فإن ورد في الكتاب والسنة أن من ءامن بالله وحده وصدق بأنبيائه ورسله وبما جاؤوا به من عند الله أنه بمجرد ما ينادي نبيًا أو وليًا متشفعا به إلى الله تعالى يكفر بمجرد النداء فبينوه لنا إن كنتم صادقين ولن تجدوا أبدًا والحمد لله رب العالمين أولًا وءاخرًا.

وقال المؤلف في الفصل الرابع:

لو قال الشيخ النجدي إن توحيد الألوهية هو أن لا يستعبدك من الأكوان غير الله سلمنا له فإن هذا مقام أولياء الله ولكن ليس هو من أهله بل هو من عبيد الهوى والنفس ولو كان عبد الله حقًا لما خالف أئمة الدين وحكم بكفر الموحدين وأهل

هذا التوحيد أعني توحيد الألهية لا يلتفتون إلى الوسائط والأسباب ولا يعتمدون عليها شغلًا بمولاهم تعالى ألا ترى إلى الخليل عليه السلام لما رمي به في المنجنيق ليلقى في النار عرض له جبريل عليه السلام وقال لك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إليه فبلى فقال سله فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي فصاحب هذا المقام يكتفي بعلم الله فيه ولا يلتفت إلى الوسائط والأسباب لا إنكارها بل لاشتغاله بمولاه عنها فإن إبراهيم عليه السلام لم ينكر على جبريل كونه توسط بينه وبين مولاه فإنه قد توسط له ولغيره من الأنبياء في تبليغ الوحي وإنما لم يقبل منه التوسط في تلك الحالة لشدة استغراقه وغيبته عن الوسائط والأسباب قال الغزالي في رسالة التجريد في كلمة التوحيد **فصل** أترى إذا قلت لا إله إلا الله وأنت عابد لهواك ودرهمك ودينارك أفما يكون جوابك كذبت يا عبدي لم تقول ما لا تفعل كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وأنت عابد لهواك أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأنت عابد لدينارك ودرهمك تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شبك فلا انتقش ما دمت تقول لا إله إلا الله محمّد رسول الله وأنت تسكن إلى أهل ووطن ومسكن فلست بقائل كل قول كذبه الفعل فهو مردود ولسان الحال أفصح من لسان المقال إن كانت لا إله إلا الله أثمرت معنى في قلبك فلم تلوذ بفلان وفلان وترجو فلانًا وفلانًا وتخاف من فلان وفلان ما دمت تقول لا إله إلا الله وأنت تأنس بغيرنا فلست لنا ولسنا لك انتهى فهذا توحيد الألوهية الصرف وهو أن لا تركن إلى شئ غير الله فيا عجبًا ممن سوّلت له نفسه الأمّارة بالسوء أنه قد بلغ هذا المقام العزيز وهو باق مع نفسه ورعونتها ومع الخلق والتصنع لهم والنظر إليهم في إقبال وإدبار وعطاء ومنع وضر ونفع فأنى له ودعوى هذا المقام العالي الرفيع الذي تنقطع دونه أعناق أكابر الفحول من الرجال وما أسهل الدعوى ولكن عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان فإنه إذا هبت أرياح الأوهام النفسانية على رمل توحيد المدعي المنبت على طرف لسانه تركته قاعا صفصفًا فحينئذ يفتضح المدعون وتسود وجوههم ولقد أحسن من قال:

إذا انسكبت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

والعجب كل العجب ممن يدعي مقام أولياء الله المنطرحين بين يديه المتوكلون في جميع أمورهم عليه مع إنه لم يزل معتمدًا على أسبابه الدنيوية التي يرجو النفع منها لنفسه ومجانبًا للأسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه حتى يكاد خوفه ورجاؤه للأسباب يدخلانه في الشرك بالله لانهماكِهِ في مطالعة الأسباب وغفلته عن رب الأرباب ومسبب الأسباب ممن بيده ملكوت كل شيء ولا تتحرك ذرة فما دونها بجلب نفع أو دفع ضر إلا بإذنه تعالى ثم لا يعيب على نفسه هذه الغفلة عن مولاه والركون إلى الأسباب ولا ينظر إلى هذا الشرك الخفي بربه وإنما ينسب الشرك الأصغر بل الأكبر المخلد في النار مع الكفار ينسبه إلى من يتوسل برسول الله ﷺ أو بأحد من أولياء أمته وجعله سببًا يتوسل به إلى طلبته من مولاه مع أنه يعتقد في ذلك الرسول وفي ذلك الولي أنهما عبدان من عبيده مقهوران ليس بأيديهما شيء من الضر والنفع كما أن سائر الأسباب الجالبة للنفع كالغذاء والأسباب الجالبة للضرّ كالسّم مقهورة لا تأثير لها إلا بإذنه تعالى وإنما هي أسباب يتعاطاها الخلق، فيا ليت شعري من أحلّ هذه الأسباب وتعاطيها وحرم تلك الأسباب وتعاطيها فإن قلت الجالبة للنفع كالغذاء والجالبة للضر كالسم لا يخشى من تعاطيها الشرك إذ لا بد للخلق منها بخلاف تلك الأسباب فأقول أما الشرك الجلي وهو شرك في ذات المعبود أو في صفاته أو في أفعاله وهذا معنى الوحدانية، وأما الشرك الخفي فهو يدخل في هذه الأسباب وفي تلك الأسباب إذا اعتمد عليها دون الله فما معنى تخصيصكم بالشرك لبعضها دون بعضها وأين توحيدكم للألوهية الذي تدعونه؟! فارجعوا وراءكم إلى توحيد الربوبية الشامل للعوام والخواص ولا تدعوا مقام أولياء الله بغير برهان فعند الإمتحان يكرم المرء أو يهان فإذا عرفت وتحققت واطلعت على ما في هذه الفصول الأربعة المتقدمة فلنشرح صدرك بجمع فصول جمة وفوائد مهمة في الرد على هذه الطامة المدلهمة.

التبكيت والإلجام
لمن قال
(لا يكفر من فهم معنى جسم
وقال الله جسم لا كالأجسام)

قال ربنا تبارك وتعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف] واتفقت كلمة أهل اللغة وأهل الشرع على أن الجسم هو الحجم المركب المؤلّف، فقال الزبيدي في تاج العروس (ج س م) الجِسمُ بالكسر جماعة البدن أو الأعضاء ومن الناس والإبل والدواب وسائر الأنواع العظيمة الخَلْقِ كالجسمان بالضم.

قال أبو زيد: الجسم الجسد وكذلك الجسمان. والجثمان الشخص، ويقال إنه لنحيف الجسمان. وقال بعضهم إن الجثمان والجسمان واحدٌ. وقال الراغب: الجسم ما له طولٌ وعرضٌ وعمقٌ.

ومثله ذكر في لسان العرب والمصباح المنير وغيرهما.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «إن أهل اللغة وضعوا هذا الاسم أي الجسم على كلّ ذي طولٍ وعرضٍ وسمكٍ وتركيب وصورة وتأليف». نقله عنه أبو الفضل التميمي في اعتقاد الإمام أحمد.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري: «أقل ما يقع عليه اسم الجسم جوهران مؤتلفان». نقله ابن فورك في المجرد.

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في كتاب التوحيد: «إن الجسم اسم ذي الجهات أو اسم محتمل النهايات أو اسم ذي الأبعاد الثلاثة فغير جائز القول به

في الله سبحانه».

وقال الجرجاني في التعريفات: «الجسم جوهر قابلٌ للأبعاد الثلاثة وقيل الجسم هو المركب المؤلف من الجواهر».

فلفظ الجسم كما ترى صريح في الدلالة على الحجم المركب المؤلف، فهو صريح في الدلالة على معاني المخلوقين، ولا يحتمل معنًى ءاخر يُصرف إليه لا في اللغة ولا في عرف الشرع. وقد اتفق علماء الدين من أئمة الأصول والفقه على أن من أطلق على الله تبارك وتعالى لفظًا صريحًا في معاني المخلوقين وكان يفهم معناه فإنه يكفر. ولا يدخل في هذا الباب التفصيل الذي ذكروه بين من يلتزم ما يقتضيه إطلاق اللفظ وبين من لا يلتزمه لأن الكلام هنا في اللفظ نفسه لا في ما يلزم عليه، واللفظ الصريح بيّنٌ واضحٌ في معناه لا يحتمل عند المتكلم لبسًا ولا معنًى ءاخر فلا يُنظر بعد ذلك هل يلتزم ما يقتضيه أو لا، ولذلك صحَّ في الحديث القدسي «**شتمني عبدي ولم يكن له ذلك**» ثم فسره بقوله «**وأما شتمه إياي فقوله لي ولد**». ولم يفصّل رسول الله ﷺ في ذلك ولا ذكر فرقًا بين من يلتزم لوازمه ومن لا يلتزم بل أطلق إطلاقًا لأن اللفظ صريحٌ بيّنٌ واضحٌ، ولذلك قال الحافظ ابن حجرٍ في فتح الباري عند الكلام على سورة الإخلاص: «ويؤخذ منه أن من نسب غيره إلى أمرٍ لا يليق به يُطلق عليه أنه شتمه». قال ابن منظور في لسان العرب: «والصريح هو الخالص من كل شيءٍ وهو ضد الكناية». وقال اللغوي الفقيه شهاب الدين الفيومي في المصباح المنير (ص ر ح): «صَرُحَ الشيء بالضم صراحةً وصُروحةً خَلَصَ من تعلقات غيره، فهو صريحٌ وعربيٌّ صريحٌ خالص النسب والجمع صُرحاء، وكلّ خالصٍ صريحٌ ومنه القول الصريح وهو الذي لا يفتقر إلى إضمارٍ أو تأويل».

ومن هنا قال الفقهاء: «إن الصريح هو اللفظ الموضوع للمعنى الذي لا يفهم منه عند الإطلاق غيره». قال الماوردي في الحاوي: «الصريح لا يحتمل إلا معنًى واحدًا». وقال السيوطي في الأشباه والنظائر: «قال العلماء الصريح اللفظ الموضوع لمعنًى لا

يُفهم منه غيره عند الإطلاق ويقابله الكناية». ولذلك لم يفصّل أئمة الفقهاء في اللفظ الصريح بين من أضمر كنايةً ومن لم يضمر ولا قالوا إنه يدخله الفرق بين من يلتزم مقتضاه ومن لا يلتزمه لأنه لو دخله مثل ذلك لخرج عن كونه صريحًا، ولكانت كلماتهم وتعاريفهم فيه متناقضة.

ومن هنا قال إمام الحرمين الجويني: «اتفق الأصوليون على أن من نطق بكلمة الردة أي الصريحة في الكفر وزعم أنه أضمر توريةً كُفّرَ ظاهرًا وباطنًا». وهذا هو حكم من أطلق الجسم على الله، فإنه قد أطلق عليه لفظًا صريحًا لا يليق به تعالى بالإجماع وليس له معنى إلا نسبة التركيب والحدّ إليه سبحانه. ومطلقه ناقض ما جاء به نبي الله محمد ﷺ من العقيدة جزمًا بلا شكٍّ فلا يجوز أن يُعَدَّ ذلك إيمانًا كما لا يخفى على أحدٍ، فإن الله تعالى قد فرق بين عقيدة الإسلام التي جاء بها نبي الله ﷺ وكلّ عقيدةٍ أخرى وأمر نبيه ﷺ بالبراءة من كل عقيدةٍ تخالفها بقوله تعالى في سورة الكافرون ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

والأصل في كلام كلّ متكلمٍ أنه يفهم معنى ما يقوله ويتلفّظ به وعلى هذا يتنزّل ما نقله الحنابلة عن الإمام أحمد وما قاله ابن بطالٍ وابن الملقن والبياضي والمازري وأقره النووي وغيرهم من كفر من قال (الله جسم لا كالأجسام)، فإن من كان يفهم معنى الجسم يكون بقوله (إن الله جسم) قد أثبت له سبحانه التأليف والتركيب والحجم فلا ينفعه قوله بعد ذلك (لا كالأجسام) أو قوله (أنا لا ألتزم ما يلزم على ذلك من صفات المخلوقات) لأن كلامه الأول ينقض كلامه الثاني فيكون عندئذٍ كذَّابًا متلاعبًا متناقضًا كم يقول (الله تعالى نائمٌ لا كالنائمين) أو عاجزٌ لا كالعاجزين أو جالسٌ لا كالجالسين أو مريضٌ لا كالمرضى) ويؤاخذ بإقراره ولا ينفعه إنكاره. قال الحافظ الفقيه اللغوي تقي الدين السبكي: «والله تعالى منزه عنها أي عن صفات المخلوقين، ومن أطلق أي على الله القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد له باللغة فيكون باطلًا وهو كالمقرّ بالتجسيم المنكِر له فيؤاخذ بإقراره

ولا يفيده إنكاره». ونقله الحافظ الفقيه خاتمة اللغويين محمد مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين وأقره. وهذا متوافق مع الإجماع الذي نقله تاج الدين السبكي في الطبقات، قال: «لا خلاف عند الأشعري وأصحابه بل وسائر المسلمين أن من تلفظ بالكفر أو فعل أفعال الكفار (أي الكفرية) أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار وإن عرف بقلبه وأنه لا تنفعه المعرفة مع العناد ولا تغني عنه شيئًا ولا يختلف مسلمان في ذلك».

من كل ما تقدم يُفهم وعليه يتنزل إطلاق الأشعري والبيهقي والحليمي والمتولي وأبي إسحق الشيرازي وأبي نصر القشيري والقاضي حسين والقاضي عبد الوهاب المالكي وابن الجوزي الحنبلي والنووي والتقي السبكي والقرطبي والسيد أحمد الرفاعي وابن الرفعة والتقي الحصني وابن بلبان الحنبلي وغيرهم من أهل العلم تكفير المجسم وهو الذي تقتضيه نصوص الأئمة الأربعة ونقله كثيرون عنهم وجزم به الغزالي في إلجام العوام ونقل الإجماع عليه ولا يدخل هذه الحال التفريق الذي فرّقه بعض العلماء بين التزام لازم اللفظ وعدم التزامه ولا بين كون اللازم بيّنًا أو غير بيّنٍ لأن اللازم هو معنًى خارجٌ عن معنى اللفظ يلازمه ويحضر عادةً في الذهن عند ذكره إذا كان بيّنًا ويحتمل حضوره من غير رجحانٍ إذا كان غير بيّنٍ لأن ما نتكلم عنه هنا هو عين معنى لفظ الجسم لا معنًى خارج عنه. نعم تدخل هذه التفرقة في من أطلق على الله الجسم ولا يفهم معناه على خلاف الأصل والغالب بل يظن أن معناه موجودٌ أو قائمٌ بنفسه أو نحو ذلك من المعاني التي يجوز إطلاقها في حق الله تعالى فإنه ينظر عند ذلك في حال هذا المطلِق، هل يعتقد في هذا الموجود أو القائم بذاته أنه حجم مركب مؤلف أو لا وهل يلتزم ما يلزم على إطلاق الجسم من المكان والجهة والاتصال والانفصال والحدوث أو لا يلتزم ذلك فإنْ كان يعتقد في الله الحجم والكيفية والكمية حُكِمَ بكفره وإن كان لا يعتقد ذلك ولا يقول به لم يُحكم بكفره ولكنه عاصٍ خاطئٌ لإطلاقه على الله تعالى ما لم يرد الإذن الشرعي به.

وما تقدم معلومٌ في كلام أساطين علماء الأصول مقررٌ عندهم، ذكره الأشعري كما في مجرد المقالات والماتريدي كما في كتاب التوحيد وأبو منصور التميمي في تفسير الأسماء والصفات وأقره الشيخ عبد الله الهرري رحمه الله تعالى في كتاب صريح البيان.

قال إمام الحرمين في الشامل في أصول الدين: «فصلٌ مشتملٌ على الرد على من قال (إن الله جسمٌ وليس بمتألف). قد ذهبت بعض المجسمة إلى موافقه أهل الحق في تقدس الرب سبحانه وتعالى عن خصائص الأجسام وما يثبت لها من الأحكام وذهبوا إلى منع كونه مؤلفًا ثم صاروا إلى أن المعنى بكونه جسمًا وجوده أو قيامه بالنفس. ومن سلك هذا المسلك ءال الكلامُ معه إلى التنازع في الإطلاق والتسمية نفيًا وإثباتًا. ومما يفسد هذه الطريقة ويوضح بطلانها ما قدمناه من إنباء الجسم عن التأليف فمن أراد صرفه عن وجهه والعدول عن قضيته في موجب الله كان مصدودًا عن ذلك إذ لا سبيل إلى إزالة قضايا الألفاظ من غير دلالة، ولو سوّغنا تبديل اللغة ونقلها عن موضوعها في المسميات الجارية تواضعًا واصطلاحًا بين فئة من الناس فلا سبيل إلى تجويز ذلك في أوصاف الإله لإجماع الأمة إذ لو جاز ذلك لجاز للمطلِق أن يطلق لفظ المؤلف، وإذا روجع فيه فسره بالوجود ومهما ثبت إنباء الجسم في اللغة عن التأليف ترتب عليه امتناع تسمية الإله به ولم يجز ذكره في أوصاف الإله نقلًا وخروجًا عن اللغة. ثم نقول لهم أنتم لا تَخْلون في إطلاقكم الجسم إما أن تقولوا أطلقنا ذلك بلا دليلٍ ولا اقتضاءٍ من عقلٍ وشرعٍ ولغةٍ وإما أن تسندوا مذهبكم إلى دليل في ظنكم فإن لم تسندوه إلى دليل كان الذي ذكرتموه محض التلقيب بناءً على التشهّي والتمنّي، ولو ساغ ذلك لساغ إثبات سائر الألقاب كذلك لتجوز تسميته زيدًا وبكرًا وعمرًا، تعالى الله عن قول الزائغين». وبمثله ذكر المتولي في الغنية.

فتبين أن كلام العلماء في لازم المذهب وتفرقة بعضهم بين اللازم البيّن واللازم غير البيّن هو في غير من يفهم معنى الجسم ثم يطلقه على الله تعالى لأن هذا الإطلاق من باب الصريح وإفادته بالمطابقة لا بالتضمن ولا بالالتزام كما هو موضح في كتب

الفنّ ومن لم يفرّق بين هذه الأمور فليس محله كرسيّ التعليم والإرشاد والمشيخة في أصول الدين بل محلّه مجالس المتعلّمين المسترشدين.

وكما يُحكم بالكفر على من تلفّظ بلفظٍ صريحٍ في مناقضة عقيدة النبي ﷺ وتكذيبه يُحكم كذلك بالكفر على من تلفّظ بلفظٍ يلزم منه ذلك على الإطلاق عند قوم وإذا كان اللزوم بيّنًا عند آخرين. ومثال البيّن ما ذكروه عند كلامه على الردة بأن الردة هي كفر المسلم بصريحٍ أو لفظٍ يقتضيه ثم فسّروا الصريح كمن يقول الإله اثنان أو ثلاثة أو عزير ابن الله وفسروا اللفظ المستلزم للكفر كجحد مشروعية شيء مجمعٍ عليه معلومٍ من الدين بالضرورة لاستلزامه تكذيب القرءان والرسول ﷺ.

فمن زعم أن الإمام أبا الحسن الأشعري له قولٌ بعدم تكفير المجسم فهو مفترٍ أو واهم ودون إظهاره نصًّا ثابتًا عن الإمام خَرطُ القتاد. والله تعالى أعلم.

الخاتمة

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**» ونحن قد رأينا مفاسد المشبهة المجسمة الوهابية الذين يسعون لنشر عقيدتهم المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، لذلك وحرصًا منا على سلامة عقيدة المسلمين جمعنا هذا الكتاب تحصينًا للناس من خطر الوهابية الذين عظم ضررهم في كثير من البلاد وأحببنا أن تكون الخاتمة خلاصة لما جاء به علماء أهل السنة من إظهار عقيدة بدعة تقسيم بعض الناس التوحيد إلى ثلاثة توحيدات فنقول: إن هذا التقسيم للتوحيد بدعة منكرة لم ترد في كتاب الله ولا في حديث رسول الله ﷺ ولا على لسان واحد من السلف الصالح أو أحد العلماء المعتبرين إنما هي بدعة تفرد بها الوهابية المشبهة رغم زعمهم أنهم يحاربون البدعة.

والدليل على فساد تقسيمهم هذا حديث النبي عليه الصلاة والسلام: » أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» ولم يقل حتى يوحدوا ثلاثة توحيدات، وهذا الحديث المتواتر أورده البخاري في صحيحه.

ثم إن مراد المشبهة من هذه البدعة أن يكفروا المسلم الذي يوحد الله إذا توسل بالرسول أو بولي فهم يزعمون أنه لا يكون وحّد توحيد الألوهية ويريدون بذلك أيضًا أن يكفروا من أول الآيات المتشابهات لصرفها عن المعنى الظاهر الذي يتبادر منه معنى لا يليق بالله فثبت من هذا الحديث المتواتر أن تقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة باطل وأنهم هم المبتدعة لأنهم أدخلوا في دين الله هذه البدعة الجديدة والتي هي ضد قول رسول الله ﷺ: » أمرت أن أقاتل الناس» الحديث. وقد كان الرسول ﷺ يحكم بإسلام الكافر الذي نطق بالشهادتين وكان يأمره بالصلاة قبل غيرها من أمور الدين للحديث الذي رواه البيهقي في كتابه الاعتقاد. وهؤلاء عملوا دينًا جديدًا

قوامه عدم الاكتفاء بالأمرين المذكورين وهذا من غباوتهم، فإن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية بدليل أنه جاء في سؤال القبر حديثان حديث بلفظ الشهادة وحديث بلفظ الله ربي وهذا دليل على أن شهادة أن لا إله إلا الله شهادة بربوبية الله فما أعظم مصيبة المسلمين بهذه الفرقة وقد ورد في الأثر إذا ظهرت البدع وسكت العالم لعنه الله. ومعنى البدع هنا العقائد الفاسدة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة.

اللهم ثبتنا على العقيدة الحقة عقيدة التوحيد واجعلنا من حراسها المدافعين عنها وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

القَلائد

فِيمَا أُجمِعَ علَيهِ مِن العَقائِد

شَرْح وَتَحْقيق وَتَعْليق

الشيخ جميل محمّد عَلي حليم الأشْعَريّ الشّافعيّ الحسيني

دكتور محاضر في العقائد والفِرَق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للَّهِ الَّذِي بَعَثَ سَيِّدَنا مُحمّدًا بالمَحَجّةِ البَيضاءِ، وَجَعَلَ سَبِيلَ أُمَّتِه السَّبِيلَ السَّواءَ، وأَشهَدُ أن لّا إله إلّا اللَّهُ شَهادةً أَنجُو بِها يَومَ القِيامةِ مِن الرَّمْضاء، وأَشهَدُ أنّ سيّدَنا مُحَمَّدًا سيّدُ الرُّسل والأنبياءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وزِدْ وبارِك وأَنعِمْ وأَكرِمْ علَيه وعلَى ءالِه وأَصحابِه ما عادَتِ الشَّمسُ علَى الدُّنيا بالنُّور والضِّياءِ.

أمّا بَعدُ، فإنَّ أقوامًا مِن المَخذُولِينَ قد تَنطَّعُوا في أيّامِنا بِدَعوَى تَعمِيم الاجتِهادِ وأنّهُم قد استَوَوا معَ الأَئِمّة الفُحولِ الأَعلامِ بِدَعوَى أنهّم رِجالٌ وأولئكَ رِجالٌ، وهَيهاتَ هَيهاتَ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثُمّ زادُوا في غَيّهِم يَعمَهُون حتَّى أنكَرُوا حُجّيةَ الإجماعِ؛ فأرَدتُّ أنْ أجمَعَ أصُولًا أَجمَعَ علَيها عُلَماءُ المُسلمِينَ فِي العَقِيدة، وقدَّمتُ لذَلِكَ مُقدّمةً فِي مَعنَى الإجماعِ وانعِقادِه، راجِيًا مِن اللَّهِ تَعالَى أنْ يَنفَع بِها طالِبِي الحَقِّ، وَهو حَسْبِي ونِعمَ الوَكِيلُ.

معنَى الإجماعِ وحُجّيَّتُه وبَيانُ كَيفيّةِ انعِقادِه

اعلم أنّ الإجماع لغةً يطلق بمعنيين: أحدُهما العَزمُ علَى الشّيء، والثّاني الاتّفاقُ، وأمّا اصطِلاحًا فاتّفاق أهلِ الحَلّ والعَقدِ - وهم مُجتَهِدُو أمّةِ محمّدٍ ﷺ - في عَصرٍ مِن العُصورِ على أمرٍ دِينيّ.

ودليلُ حُجّيّةِ الإجماعِ قولُ اللَّهِ تعالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1]؛ ووَجهُ الحُجّة أنّه تعالَى جَمَعَ بَينَ مُشاقّةِ الرَّسولِ ﷺ واتّباعِ غَيرِ سَبِيلِ المُؤمنِين في الوَعِيد في قَولِه ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ فيَلزَم تَحرِيمُ اتّباعِ غَيرِ سَبِيل المؤمنِين لأنّه لَو لَم يَكُن حَرامًا لَما جَمَعَ بَينَه وبينَ المُحرَّم الّذي هو مُشاقّةُ الرَّسولِ ﷺ، لأنّ الجَمعَ بَينَ حَرامٍ ونَقِيضِه لا يَحسُن في وَعِيدٍ، فدَلّ ذلكَ علَى أنّ اتّباعَ غَيرِ سَبِيلِهم حَرامٌ، وإذا حَرُم اتّباعُ غَيرِ سَبِيلِهم كان اتّباعُ سَبِيلِهم واجِبًا، إذْ لا واسِطةَ بَين السَّبِيلَين، وإنْ ثَبَتَ وُجوبُ اتّباعِ سَبِيلِهم ثَبَتَتْ حُجّيّةُ الإجماعِ.

فإذا اتَّفَق المُجتهِدُون في عَصرٍ على شيءٍ فهو إجماعٌ وحُجّةٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يأتِيَ بَعدَهم مَن يَنقُض ما اتَّفَق عليه السّابِقُون.

وقد ادَّعَى بعضُ المَلاحِدة أنّ هذا الدِّين كَثِيرُ الاختِلاف لا يَصلُح اتّباعُه ولا يُعرَف الصّوابُ مِنه، فرَدَّ علَيهِم الفُحُول مِن العُلماءِ كأبي إسحاق الإسفراييني فقال: «نحنُ نَعلَم أنّ مسائِلَ الإجماعِ أكثَرُ مِن عِشرِين ألفَ مَسألةٍ، وبهذا يُرَدّ قولُ المُلحِدة: إنّ هذا الدِّينَ كَثِيرُ الاختِلافِ إذْ لَو كان حقًّا لما اختَلَفُوا فيه. فنَقُول: أخطَأتَ، بل

(١) سورة النِّساء، (١١٥).

مَسائِلُ الإجماعِ أكثَرُ مِن عِشرِينَ ألفَ مَسألةٍ، ثُمّ لَها مِن الفُروعِ الّتي يَقَعُ الاتِّفاقُ مِنها وعلَيها وهي صادِرةٌ عن مَسائِل الإجماعِ الّتي هي أصُولُ أكثَر مِن مائةِ ألفِ مَسألةٍ»، ذكَره في «شَرح التّرتيب» نقلَه عنه الزّركَشيُّ[1].

(١) البحر المُحِيط في أصول الفقه، بدر الدّين الزَّركَشّي، (٦/ ٣٨٤).

الإِجماعُ في العَقائِد

اعلَم أَنّ أَهلَ السّنّةِ والجماعة قد أَجمعُوا على أنّ الحقائِقَ ثابِتةٌ والعِلمُ بِها مُتحقّق[١].

وأَنَّ أسبابَ العِلم هِي الحواسّ الظّاهِرة السّلِيمةُ والخَبرُ الصّادِقُ والعَقلُ[٢].

وأَنّ العالمَ عُلوِيَّه وسُفلِيَّه مُحْدَث بِجنسِه وأفرادِه وجواهِرِه وأعراضِه[٣].

وأَنّ اللَّهَ خالقُ العالَم لا يُماثِله ولا يُشابِهه شَيء في ذاتهِ ولا في صِفاتِه ولا أفعالِه[٤]، فليسَ سُبحانَه وتعالَى بِجسمٍ ولا عَرَضٍ[٥]، بل هو واحدٌ لا شَرِيك له[٦]، قَديمٌ لا بِدايَة له، باقٍ لا نِهايَةَ له[٧]، مُرِيدٌ لا ءامِر له، شاءٍ لا يَكون إلاَّ ما يُرِيد[٨]، قادِرٌ لا شَيءَ يُعجِزهُ[٩]، عالمُ الغَيبِ والشَّهادَة[١٠]، سَميعٌ بَسمعٍ من غَير أُذُن[١١]، بَصِيرٌ بِبصَرٍ من غيرِ حَدَقَة[١٢]، مُتكلِّمٌ بِكلامٍ واحدٍ ليس بِحرفٍ ولا صَوتٍ ولا لُغَةٍ[١٣]، حَيٌّ قيُّومٌ

---

(١) المِنَن الكبرى (لَطائف المِنَن والأخلاق)، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/ ٦٥٢).

(٢) حاشية على شرح العقائد النسَفيّة، عصام الإسفراييني، (ص/ ٤٦).

(٣) الفَرق بين الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٥).

(٤) إتحاف السّادة المتَّقِين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٣٥).

(٥) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤١).

(٦) الأنوار القُدسيّة، عبد الوهّاب الشّعرانيّ، (ص/ ١٣).

(٧) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٩١).

(٨) الإنصاف فيما يجب اعتِقادُه ولا يجوز الجَهلُ به، أبو بكر الباقلاّني، (ص/ ١٣).

(٩) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).

(١٠) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥). الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).

(١١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٣٥).

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٠).

أَحدٌ صَمدٌ، لَمْ يَلِدْ ولم يُولَدْ، لا تُدرِكُهُ الأوهامُ والأَفهامُ[1]، مَهْما تَصوَّرْتَ بِبالِكَ فاللَّه لا يُشبِهُ ذلِكَ، وأَنّ صفاتِه الذّاتِيّةَ أَزليّة أَبَدِيّة وليسَتْ عَين الذّاتِ ولا غيرَه[2].

وأَنَّ اللَّهَ تعالَى كانَ قبلَ كُلِّ شيءٍ[3]، وهو مُستَغنٍ عمّا سِواهُ، فلا تَحوِيهِ الجِهاتُ ولا تَكتَنفُه الأرضُونَ والسَّماواتُ[4]، وأَنَّه استوَى كما أَخبَرَ لا كما يَخطُرُ للبَشرَ.

وأَنَّ اللَّهَ خالِقُ الجَواهِرِ والأجسامِ والأَعمالِ والحرَكاتِ والسَّكَناتِ والخَواطِرِ والنِّيّاتِ والخيرِ والشَّرِّ والقَبِيح والحسَن[5].

وأنَّ للعبدِ مَشِيئةً هي تابِعةٌ لمشِيئةِ اللَّهِ، فمَن أَنكَرَها أو جعلَها بِخَلقِ العَبدِ فقد كفَرَ[6].

والاستِطاعةُ نَوعان:

استِطاعَةٌ سابِقَةٌ على الفِعل وهِي سَلامةُ الأسبابِ والآلاتِ وبِها يكُونُ صِحَّة التَّكلِيف.

واستِطاعةٌ تُقارِنهُ وهي حقيقةُ القُدرةِ الَّتِي يَكونُ بِها الفِعلُ.

وَأجمَعُوا أَنَّ اللَّهَ تعالى يُثِيبُ فَضلًا وَيُعاقِبُ عدلًا وَيرزُقُ كرَمًا[7]، ويُضِلُّ مَن يَشاء وَيهدِي مَن يَشاء.

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٥).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٧).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٦).

(٤) الفَرق بيَن الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣٢١). الإرشاد إلى قواطِع الأدِلّة، أبو المَعالي الجُوَينيّ، (ص/ ٢١). التفسير الكبير، فخر الدّين الرازيّ، (٢٩/ ٤٤٩).

(٥) إتحاف السّادة المتَّقِين، محمد مرتضى الزَّبِيديّ، (٢/ ٤٤٨).

(٦) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٤).

(٧) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٢). أبكار الأفكار في أصول الدّين، سيف الدّين الآمديّ، (٢/ ٢٢٤).

وأنَّ تَعذِيبَهُ المُطِيعَ وإيلامَه الدَّواب وَتَوجِيعَهُ الأَطفال ليسَ مِنه بِظلمٍ[1] بِلِ اتِّصافُهُ بالظُّلم مُحالٌ[2].

وَأَنَّ القُرءانَ كلامُ اللَّهِ عزّ وجلّ لا يُشبِهُ كلامَ المَخلُوقِينَ، وأَنَّ اللَّفظَ المُنَزَّل الَّذِي نَزَلَ بِه جبرِيلُ علَى سيّدِ الأَنبياءِ والمُرسَلِين لَيسَ عَينَ الكَلام الذّاتِيّ بل هو عِبارةٌ عنهُ[3]، وَكُلٌّ يُسمَّى قُرءانًا.

وَنُؤمنُ بِمُحكَمِ الكِتابِ وَمُتَشابِهِه وَنَقُول كُلٌّ مِن عِندِ اللَّهِ – والمُحْكَماتُ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ – وَنُنَزِّهُهُ عزّ وجلّ عَمّا تَقتَضِيهِ ظَواهِر المُتشابِهات مِن كُلّ وَصفٍ لا يَلِيقُ بِجَلالِه.

وَأَنَّ الرِّزقَ ما يَنفعُ وَلَو مُحَرَّمًا، والشَّىءُ هُو المَوجُودُ وَلَو قَدِيمًا.

وَأَنَّ الأَجلَ واحِدٌ والمَيِّتُ مَقتُولٌ بِأَجَلِهِ[4].

وَأَنَّ الرُّوحَ مَخلُوقَةٌ حادِثَةٌ[5].

وَأَنَّ اللَّهَ بَعَث الأَنبِياء مُبَشِّرِينَ وَمنُذرِينَ، فَضَّلَهم على سائِرِ العالَمِينَ، أَوَّلُهُم ءادَم، وءاخِرُهم وأَفضَلُهُم مُحَمَّد صلوات ربّي وسلامه عليهم أَجمَعين[6]، أَيَّدَهُم بالمُعجِزاتِ الدّالَّةِ على صِدقِهِم، وَأَنزَلَ على بَعضِهم كُتُبًا.

وَأَنَّهُ يجِبُ لِكُلٍّ مِنهُم الصِّدق والأَمانَة والفَطانَة والعِفَّة والتَّبلِيغ[7]، وَيستَحِيلُ عليهم كُلُّ ما يُنَفِّرُ عن قَبولِ دَعوَتِهم، وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِم الأَعراضَ الَّتِي لا تَقدَحُ فِي

---

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٧).

(٢) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥١).

(٣) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٣٩). المِلَل والنِّحَل، أبو الفتح الشّهرستانيّ، (١/ ٨٩). نهاية العُقول في دراية الأصول، فخر الدّين الرازيّ، (٢/ ٣١٥).

(٤) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٥٧).

(٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسّي، (٧/ ١٠٦).

(٦) أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ١٧٧).

(٧) المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عَطِيّة الأندلسّي، (١/ ٢١١).

مَراتِبِهم[1].

وَأَنَّ عذابَ القَبرِ ونعِيمَه وسُؤالَ المَلَكَينِ والقِيامةَ والبَعثَ والحَشرَ والحِسابَ والمِيزانَ والصِّراطَ والحَوضَ والشَّفاعَة حَقٌّ[2].

وَأَنَّ الجَنَّةَ والنّارَ مَخلُوقتانِ لا تَفنَيانِ ولا تَبِيدانِ، وأَنَّ العَذابَ والنَّعِيمَ في القَبرِ وَيوم القِيامَة وفِي الجَنَّة والنّارِ بالرُّوحِ والجَسَدِ[3].

وَأَنَّ المُؤمِنِينِ يَرَونَ اللَّهَ يومَ القِيامَةِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ ولا جِهةٍ لا كَما يُرَى المَخلُوق[4].

وأنَّ المَلائِكَةَ عبادٌ للَّهِ مُكرَمُونَ، ليسُوا ذُكُورًا ولا إناثًا[5]، لا يأكُلون ولا يَشربونَ ولا يَنامُونَ ولا يَتناكحُونَ ولا يَتعبُونَ[6]، لا يَعصُون اللَّه ما أمَرَهُم ويَفعلونَ ما يُؤمَرُون[7].

وأنّ الجِنَّ موجُودُونَ[8]، أَبُوهُم الأوّل إبلِيسُ، وهم مُكلَّفُونَ مُتَعَبَّدُونَ فمِنهُم الصّالِحُ ومِنهُم الطّالِحُ.

وأنَّ شَرِيعَة سَيِّدنا محمّدٍ ﷺ قد نَسَخَتْ ما خالَفها مِن الشَّرائِعِ أَجمَعِين[9].

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٦٩-٧٠).

(٢) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٠-٥٣).

(٣) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٢). أصول الدِّين، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٢٦٣).

(٤) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدّين النوويّ، (٣/ ١٥). التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٤٢).

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾ [سُورة الزُّخرُف: ١٩].

(٦) قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [سُورة الأنبياء: ٢٠].

(٧) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سُورة التَّحرِيم: ٦].

(٨) أبكار الأفكار في أصول الدّين، سيف الدّين الآمديّ، (٤/ ٣١).

(٩) رَوضة النّاظِر، ابن قُدامة المقدِسّي، (١/ ٢٢٩).

وأنَّ كَراماتِ الأولياءِ حَقٌّ[١].

وأنَّ التَّوسُّلَ إلى اللَّهِ بالذَّواتِ الفاضِلَةِ والأعمالِ الصّالِحَةِ والتَّبَرُّكَ بآثارِ الأنبياءِ والصّالحِينَ حَسَنٌ[٢].

وأنَّ شَدَّ الرِّحالِ بِقصدِ زيارةِ قَبرِ النَّبِيّ ﷺ وغيرِه مِن الأولياءِ والصّالحِينَ قُربَةٌ إلى اللَّهِ[٣].

وأنَّ الأمواتَ يَنتَفِعُونَ بِدُعاءِ الأحياءِ لهُم وتَصدُّقِهم عنهم وقراءتِهم القُرءان عندَهم[٤].

وأنَّ التَّحذِيرَ مِن أهلِ البِدَعِ واجِب[٥].

وَأنّا لا نُكَفِّرُ أحدًا مِن أَهلِ القِبلةِ بِذَنبٍ ما لَم يَستَحِلَّه.

وأنَّ المَعصِيَةَ وَلَو كَبِيرةً لا تُخرِج مُرتَكِبَها مِن الإيمان[٦].

وَأَنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ الكُفرَ لِمَن ماتَ عَلَيهِ وَيغفِرُ ما دُونَ ذَلكَ لِمَن يَشاء[٧].

وَأَنَّه قَد أُسرِي بِالنَّبِي ﷺ وعُرِجَ بِشَخصِهِ فِي اليَقَظَةِ إِلَى حيثُ شاءَ اللَّهُ مِن العُلَى[٨].

وأَنَّ المِيثاقَ الّذِي أَخذه اللَّهُ تعالى مِن ءادَم وَذُرِّيَّته حَقٌّ[٩].

---

(١) التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف، أبو بكر الكلاباذي، (ص/ ٧١). الفَرق بيَن الفِرَق، أبو منصور البغدادي، (ص/ ٣١٠).

(٢) شِفا السَّقام في زيارة خير الأنام ﷺ، تقيّ الدّين السُّبكيّ، (ص/ ١٢١).

(٣) المصدر السّابق.

(٤) الإمتاع بالأربعين المُتباينة السَّماع، ابن حجَر العسقلانيّ، (ص/ ٧٩).

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [سُورة ءال عِمران: ١٠٤].

(٦) شرح رسالة القَيَروانيّ، ابن ناجِي التَّنُوخيّ، (ص/ ٥٦).

(٧) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [سُورة النِّساء: ٤٨].

(٨) التبصير في الدّين، أبو المظفَّر الإسفراييني، (ص/ ١٧٧).

(٩) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ

وأَنَّ ظُهُورَ المَهدِيّ وَخُرُوجَ المَسِيحِ وَيأَجُوجَ وَمَأجُوجَ وَنُزُولَ عِيسَى ابن مَريمَ عليه السلام وطلوعَ الشَّمسِ مِن مغربِها وسائرَ ما أخبَر بِه النَّبِيّ عليه الصلاة والسلام مِن الغَيبِيّات كُلّ ذلك حقٌّ.

وأَنّ خَيرَ القُرُونِ قَرْن رَسولِ الله ﷺ وأصحابِه ثمّ الّذين يلُونَهم ثمّ الّذين يلُونَهم[1]، وأَنَّ أَفضلَ الصَّحابَةِ والخُلَفاء الرّاشِدُونَ المَهدِيُّونَ[2]، وأَنّا نَعتَرفُ بِفضلِ أَهلِ بَيتِ رَسولِ اللَّهِ وأَزواجِه أُمَّهات المؤمِنِينَ.

وأَنَّه يَجِبُ علَى النّاسِ نَصبُ إِمامٍ[3] وَلَو مَفضُولاً، وأنّ طاعَةَ الإِمامِ العادِلِ واجِبةٌ[4].

وأَنَّ إِمامَةَ أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ وَعُثمانَ وَعَلِيٍّ كانَت حَقَّة[5] وأنّ عليًّا أَصابَ في قِتالِ أَصحابِ الجَمَلِ وأَهل صفّين وأَهل النَّهرَوان[6]، وأَنَّ عائِشَةَ مُبرَّأَةٌ مِنَ الزِّنا.

وأَنَّ أَبا الحَسَنِ الأَشعَرِيَّ وأَبا مَنصُورٍ الماتُرِيدِيَّ كُلّ مِنهُما إِمام لأَهلِ السّنّةِ مُقدَّم.

وأَنَّ طَرِيقَ الإِمامِ الجُنَيدِ البَغْدادِيّ طَرِيق قَوِيمٌ، وَأَنَّ الشّافِعِيَّ وَأَبا حَنِيفَةَ وَصاحِبَيهِ وَمالِكًا وأَحمدَ وَسُفيانَ وَسائِرَ أَئِمَّةِ الإِسلامِ أَئِمَّة هُدَى واختِلافهم رَحمَة بالأَنامِ.

وأَنَّ الصَّلاةَ تَجُوزُ خَلفَ علَى كلّ بَرٍّ وفاجِرٍ مِن المُسلِمِينَ.

وَأَنَّ المَسحَ عَلَى الخُفَّينِ جائِزٌ فِي الحَضَرِ والسَّفَرِ.

شَهِدْنَآ﴾ [سُورة الأعراف: ١٧٢].

(١) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٥٨).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٩).

(٣) المنهاج في شرح صحيح مُسلِم بن الحَجّاج، محيي الدّين النوويّ، (١٢/ ٢٠٥).

(٤) الإقناع في مسائل الإجماع، أبو الحسَن القَطّان، (١/ ٦٠).

(٥) التبصير في الدّين، أبو المظفَّر الإسفراييني، (ص/ ١٧٨).

(٦) نقلَه عبد القاهِر الجُرجانّي في كتابِه «الإمامة» وعنه القُرطبي. التّذكِرة بأحوال الموتَى وأمور الآخرة، شمس الدّين القُرطبيّ، (ص/ ١٠٨٩).

وأَنَّ الحَجَّ والجِهادَ فَرْضانِ ماضِيانِ مَع أُولِي الأَمرِ مِن أَئِمَّةِ المُسلِمِينَ إِلى قِيامِ السّاعَةِ.

والحمدُ للَّهِ رَبِّ العالَمِين، وصلَّى اللَّهُ علَى سيّدِنا محمّدٍ وعلَى ءالِه الطّاهرِين وصَحابَتِه الطَيّبِين، وسَلامُ اللَّهِ علَيهِم أجمَعِين.

الفهرس

- التَّوطِئَة الميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان ٣
- نُبْذَة تعريفِيَّة بالشّيخ الدُّكتور جَمِيل حَلِيم ٧
- المقدمة ١٠
- الباعث على نشر هذا الكتاب..... ١٢
- ضابط يعرف به مذهب أهل الحقّ في النصوص القرءانية أو الحديثية الموهمة ظاهرها للجسمية والحيز والمكان في حق الله..... ١٥
- فصل في أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عقيدته موافقة لعقيدة الإمام أبي الحسن الاشعري وأبي منصور الماتريدي خلافًا لما تقوله المشبهة الوهابية وسلفهم..... ٢٠
- بيان أن الذي أوصل الوهابية إلى التشبيه أصل اعتقادهم الفاسد..... ٢٣
- طريق سهل لكسر الوهابية..... ٢٧
- التقسيم البدعي للتوحيد والرد عليه..... ٣٢
- لا فرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية..... ٣٤
- ردود على شبهات أدعياء السلفية..... ٣٩
- براءة الأشعريين من عقائد المخالفين في توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبيّة ٥٢
- بيان خطأ من قال من الملاحدة إنّ تعظيم الكعبة والحجر الأسود من الوثنية ٣٥
- نص كلام ابن تيمية في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية في كتبه في أربعة مواضع ... ٥٧
- تكميل ٦٤
- فصل القسم الثالث من التوحيد وهو ما سموه بتوحيد الأسماء والصفات ٧٣
- فصل في إبطال تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية..... ٨٤
- فصل في إبطال القسم الثالث من التقسيم المزعوم وهو توحيد الأسماء والصفات ... ٩٥
- فرع التأويل من منهج السلف..... ٩٧

- فرع كشف حقيقة قول من قال للتمويه لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ونثبت لله ما أثبت لنفسه ٩٩
- ردود من كتاب مصباح الأنام وجلاء الظلام ١١٨
- التبكيت والإلجام لمن قال (لا يكفر من فهم معنى جسم وقال الله جسم لا كالأجسام) ١٣٠
- الخاتمة ١٣٦
- القلائد فيما أجمع عليه من العَقائِد ١٣٨